المشرق

معرض باريس وآثاره الشرقيّة

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

هو الله عجيب في اعماله ذلك امر لا ينكره الا الجاهل. بل قل انّ الله اعجب في اعمال خلائقه لانهُ تعالى هو الذي يرشد عبيده الى ما فيه صلاحهم. هو الذي زيَّنهم بعقل يفرزهم عن العجماء ويوفّر لهم اسباب الهناء. هو الذي بثَّ في عالمهِ دفائن الكنوز وجواهر المعادن وشتات الخيرات ومرافق الحياة. فاذا ما شمَّر الانسان عن ساعد النشاط واستخدم قواهُ الطبيعيَّة لقضاء اغراضهِ سهل لهُ ما توعَّر ودنا مُلتمَسهُ واتتهُ دنياهُ صاغرةً وذاك مبتغى الخالق عزَّ وجلَّ حين جعل الانسان ملكاً على الكون وسلَّطهُ على جميع الارض (تكوين ١:٢٦)

وما المعاوض الّا ثمرة جدّ المرء تنبي بما توصَّلت اليهِ يدهُ في انحاء المعمور لتحقيق اماني خالقهِ فترقّى بجزمهِ وهمَّتهِ من طور البداوة وخشونة العيش الى مقام الحضارة والمدنيَّة. على انَّ المعرض الذي أُنشئ هذه السنة في باريس قد انسى بما تقدَّمهُ لما ابرز لعيون العالم من عجائب العلوم والصنائع

١

ما كاد الفرنسيُّون ينجزون معرضهم السابق في سنة ١٨٨٩ الذي اكسبهم لدى العالم التمدّن فخرًا عظيمًا حتى اخذوا يسعون في انشاء معرض آخر يكون احسن ختام لقرنٍ اجمع الخافقان على تسميتهِ بقرن المعارف وجيل التقدُّم ويصبح ابدع افتتاح لعصر جديد يتفاءل بهِ الناس على مختلف نزعاتهم وهم يأملون ان السلم والسعادة يضربان فيهِ اطنابهما على الارض

وقد صادق الفرنسويُّون على هذا المشروع في دار ندوتهم سنة ١٨٩٣. ومذ ذاك الحين لم يألوا جهدهم في اعداد كلّ لوازم المعرض ليكون غرَّةً في مفرق الدهر وتاجاً فوق هامة العصر فيستلفت اليهِ انظار كلّ البلدان ويجتذب اليهِ الشعوب بين قاصٍ ودانٍ

ومن اعتبر اليوم من اعلى برج ايفل هذا المنظر الانيق وجد انَّ الفرنسويين اذا قصدوا فازوا بالمقصود واذا وعدوا لم يخيّبوا الرجاء بانتهاك حرمة الوعود. والمعرض الحاليّ لا يشغل اقلَّ من ١٠٨ هكتارات في عاصمة الفرنسيس اي مليوناً وثمانين الف متر مربع. وهو يمتدُّ بابنيتهِ الفاخرة وقصورهِ الباهرة على ضفَّتي نهر السين. امَّا نفقاتهُ فبلغت نحوًا من مئة الف الف فرنك (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) تعهَّدت الدولة الفرنسية بدفع عشرين الف الفٍ منها وتضمَّنت مدينة باريس مثل هذا المبلغ. على ان الارباح المأمولة من دخلهِ يقدّرها البعض بازيد من عشرين مليونًا من الفرنكات وسوف يطلعنا المستقبل على صحَّة هذه الحسابات او فسادها. والارجح انَّ مكاسب فرنسة في معرضها الاخير ضامنةٌ لارباح معرضها الحالي فانَّ ريعها عامئذٍ بلغ ثمانية ملايين بنيّفٍ بعد اسقاط كلّ النفقات. وكان اذ ذاك عدد العارضين ٥٥,٥٨٦ وعددهم اليوم ٧٦,٠٠٠ وقد طُبع من التذاكر للزوَّار ما يوازي ثمنهُ ستين الف الف فرنك وقد بيع منها الى الآن فوق ثلثها

وقد امتاز المعرض الحالي على المعارض السابقة بخواصّ كثيرة نذكر منها شيئاً بوجيز الكلام

واوَّل هذه الخواصّ حسن تنظيم المعرض فانَّ اللجنة القائمة بهذا المشروع الخطير قد جعلتهُ آيةً في باب الهندسة فانَّ الزائر ينتقل من مكان الى آخر وتتقلَّب عليهِ المشاهد المختلفة دون ان يكلَّ بصرهُ فيسأم من وفرة المنظورات وتراكم بعضها على بعض وانَّما تأخذ الناظر في اعناق بعضها وتتصل اتصالًا تقرُّ بهِ العين لائتلاف الاشكال واختلاف المواقع. هذا فضلًا عمَّا جمعتهُ الطبيعة من المحاسن في ذلك المكان المعدود من جنَّات الدنيا الفيحاء. والفضل في تنسيق المعرض على هذه الصورة عائد الى المسيو الفرد پيكار احد المتقدمين في شورى الدولة

ومن خواصّ معرض باريس وفرة ما اجتمع فيهِ من الطرائف المستحسنة المعجبة الموفدة اليهِ من كلّ فجٍ وأوب حتى قال بعضهم وفي قولهِ من الصواب ما لا يُنكر:

انَّ معرض باريس هو سوق الدنيا الجامعة. وقال آخر: بل اجتمعت الدنيا في باريس. فيرى فيهِ الزوَّار ببضع الساعات ما يعزُّ عليهم نظرهُ في شهور بل في سنين عديدة. كيف لا وقد ارسلت اليهِ نحو اربعين دولة ابدع ما لديها من كلّ اصناف الاعمال والاختراعات والمحصولات ولكلّ منها قصر شاهق يمثّل طريقة الشعب في البناء والنقوش حتى اذا دخلتَ احدها خلتَ انك ليس فقط في عمار تلك البلاد بل في ظهراني اهاليها لما تجد في ذلك القصر من السُّكن الرافلين بثياب بلادهم الخاصّة الممثلين لعاداتهم الناطقين بلهجتهم فترى نفسك حيناً في رياض ايطالية وحيناً في صحاري افريقية بين قبائلها المتوحشة تارةً على ضفّة البسفور واخرى على رصيف نيويرك. وربّما قطعتَ شارعاً كبيرًا لا يختلف ذرّةً عن شوارع القاهرة او الجزائر

ومن خواصّ هذا المعرض ما توفَّر فيهِ من اسباب الراحة والبسط والامنيَّة للزوَّار كالمطاعم العديدة والمراسح المتنوّعة والمستشفيات الوقتيَّة. وترى شراذم الجند وفئات الحرس وافراد العسس الطائفين في انحاء المعرض او الراكبين الدرَّاجات وكلُّهم محافظون على النظام ساهرون على صوالح الجمهور. امَّا وسائط الانتقال فقد اجتمع منها في المعرض كلُّ ما اخترعهُ اهل عصرنا كالسكك الحديدية والحوافل والتراموي الكهربائي وعجلات الاوتوموبيل والسقائل المتحركة والرصيف الماشي والمرقيات والمناطيد المأسورة فضلًا عن ضروب السفن الجارية على نهر السين. ومع كلّ ذلك فقد جُعل للمعرض تسعة مكاتب جُهّزت فيها كلّ الادوات اللازمة للمخابرات بالتلغراف والتليفون. ولمزاولة اعمال البريد ٧٦ صندوقاً توضع فيها الرسائل ينقلها سعاة البوسطة في اوقات معيَّنة.

٢

وما تفرَّد بهِ ايضاً هذا المعرض ان اصحابهُ لم يدعوا شعبة من المعارف البشريَّة او فنًّا من الفنون الاجتماعية الَّا وافردوا لهُ معاهد خاصَّة يجد فيها الزوَّار ما اتَّصل اليهِ عقل الانسان من الاكتشافات العديدة والاختراعات الجديدة وقد قُسمت هذه المعاهد الى ستَّة عشر قسماً تستوفي جميع الصنائع والعلوم ويشتمل كلُّ قسمٍ منها اصنافاً شتى من المخترعات اللاحقة بهِ كما ترى:

فالقسم الاوَّل قد خُصّص باعمال التربية ووسائل التهذيب وضروب ادوات التعلم منذ نشأة الطفل حتَّى بلوغهِ الى الدروس العليا التي تفتح لاصحابها باب المناصب الرفيعة (موقعهُ في ساحة المرِّيخ)

والقسم الثاني يجمع عجائب فنون التصوير والنقش والحفر والرسم على الحجر ونحت التماثيل تزويق الحجارة الكريمة والهندسة (في ساحة إنفاليد)

والقسم الثالث مخصوص بكلّ ادوات الطباعة والصحافة والتجليد وتصوير الشمس والجغرافية وعلم الهيئة ورسم البلدان والمسكوكات والنقود والطبّ والجراحة وآلات العزف والموسيقى وادوات المراسح وثياب الملاعب (في ساحة المرّيخ)

والقسم الرابع قد خُصّ بالعلوم الميكانيكيّة والحِيَل وتحريك الاثقال كادوات البخار والقطارات الخ (فيها)

القسم الخامس يتضمّن كلّ عجائب الكهرباء وأدواتها العديدة وفوائدها الجمّة في تحريك الاثقال والتنوير والتلغراف والتليفون واشعّة رنتجن (فيها)

القسم السادس شأنهُ ما يتعلّق بالاشغال العموميّة ووسائط الانتقال وادواته كالعجلات والدرّاجات مع موادّ السفن التجاريّة والمراكب الهوائيّة (فيها)

القسم السابع مرجعهُ الى الفلاحة ولواحقها كمحصولات الزراعة وغرس الكروم وأدوات الحراثة واصناف النبات وتعريف الحشرات النافعة والضارّة (في رواق الآلات)

القسم الثامن أُفرز لكلّ ما يختصّ بالجنائن والبساتين كالبقول والزهور والاشجار المثمرة والنباتات العزيزة الوجود والفسائل والبزور (في رصيف السين الايمن وساحة إنفاليد)

القسم التاسع عُرضت فيهِ متعلّقات الغابات وادوات الصيد للطيور والوحوش والاسماك وبنادق الصيد وآلات لجناية الاثمار (في قصر الغابات على ضفّة السين اليسرى)

القسم العاشر فيهِ اصناف الاقوات والمآكل والمربّيات والحلويات والمسكرات والمرطّبات والمشروبات المختلفة تلحق بها معامل شتّى كالخبازة وغيرها (في رواق الآلات)

القسم الحادي عشر يشمل كلّ اشغال المعادن وتعدينها وتصفيتها مع ادواتها واشكالها (في ساحة المرّيخ في القصر الشمالي منهُ)

القسم الثاني عشر مختصّ بأثاث البيوت وتجهيزها وزينتها كنقش الجدران والزجاج الملوّن والورق المنقوش والخزائن والطنافس والفراش والخزف والبلّور وأدوات الأكل الصينيّة والزجاجية وتدفئة البيت وتنويره (في القصرين الواقعين على يمين ساحة الانفاليد وشماليهِ)

القسم الثالث عشر يحتوي على انواع الخيوط والحبال والانسجة وملابس القطن والصوف والكتّان والحرير واشغال التطريز والتخريم والازياء وتعلّقاتها (في ساحة المرّيخ في القصر الثاني على الشمال)

القسم الرابع عشر مدارهُ على الصنائع الكيماويّة والصيدليّة وفيهِ معامل الورق ومصانع لتجهيز الجلود ودبغها وتركيب الموادّ العطريّة وتهيئة التبغ (في القصر الثالث يمينًا منها)

القسم الخامس عشر يشتمل على ادوات الكتابة والمُدى والسكاكين وكلّ اعمال الجوهريين والصاغة والساعاتيين وشغل الشبه (البرنز) والنحاس والمشمّعات من المطّاط (كاوتشوك) والغوتاپركا (عند الانفاليد في القصر الايمن)

القسم السادس عشر يجمع كلّ الوسائل والأدوات المختصّة بالجمعيّات الخيريّة والشركات

التجارية والاعمال الجمهورية الآئلة لنفعة الهيئة الاجتماعية مع ما يتعلق بالصحة العمومية (في قصر المؤتمرات)

القسم السابع عشر خص بالمستعمرات وما يتعلق بها (في التروكاديرو)

القسم الثامن عشر وهو الاخير يجمع كل ما ينوط بفني الحرب البري والبحري (على ضفة السين الشمالية)

٣

ولا بدّ ان نورد هنا شيئاً من غرائب هذا المعرض مما كثر عنهُ الكلام في المجلات العلميَّة . فمن ذلك « قصر البصريات » (palais d' Optique) الذي يحتوي تلك النظارة المدهشة التي سبق وصفها في المشرق (١ : ٧٨٧) . ولهذا القصر وجه غاية في الجمال يمثل وسطهُ نصف قبَّة رُسمت فيها منطقة البروج على ابدع مثال ولهُ سقف من الزجاج تسطع فيهِ اشعَّة الشمس نهاراً فتلونهُ بالوان بهيَّة وفي الليل يمثل الكواكب وحركة السيَّارات والافلاك باسلوب يخلب الالباب . امَّا النظارة فقد أُركزت على ثماني قواعد متينة علوُّها ستَّة امتار . وعدسيَّتها وحدها ثقلها ٤٥٠ كيلو غراماً أُنفق عليها مليون ونصف من الفرنكات . ويُعكس نور القمر على جدار ليتمكَّن الزوَّار من رؤيتهِ . وقد دُعي سفير الكرسي الرسولي لبركة هذه النظارة في الرابع من الشهر الماضي فباركها بحفلة شائقة وخطب خطاباً اخذ بمجامع القلوب

ومنها « الكرة السمويَّة » وهي كناية عن كرة عظيمة قطرها ٤٦ متراً مستندة الى اربع قناطر شبيهة بقناطر برج ايفل وعلى الكرة رسوم عجيبة تمثل الابراج السمويَّة وصورها الخياليَّة وهي في الليل تضيء بانوار متشعشعة كأنها نجوم السماء . وحول الكرة منطقة على شكل حمائل علوها ٦٠ متراً على جوانبها صور البروج وفي اعلاها سطح تعزف فيه الآلات وتُدار المرطبات . امَّا داخلها فقطرهُ ٤٠ متراً يُصعد الى مركزهِ بسُرَّق وما هذا المركز الَّا الكرة الارضيَّة جُعل قطرها ثلاثة امتار وتلوح حولها القبَّة الزرقاء . فاذا جلس الزائر فيها شعر بحركة تجري بهِ من المغرب الى المشرق ويرى كلَّ النيّرات السماويَّة تتحرَّك حولهُ فتظهر لهُ الشمس والقمر والسيَّارات ويشاهد الكسوفات والخسوفات فلا يفوتهُ شيء من عجائب السماء

ومنها « القصر المضيء » بناهُ المهندس بنسين (Ponsin) من ألواح الزجاج الملوَّن فاذا مدَّ الليل سرادقهُ على الارض شعَّت تلك الزجاجات بالوان مختلفة تمثل قصراً فخماً

لهُ من الطبقات والنقوش والأفاريز والمصاعد والسطوح والشرفات ما يجدي العين ارتياحاً والقلب انشراحاً

ومن المشاهد الفتّانة التي فاق بها هذا المعرض امثالهُ « قصر الكهرباء » قد اجتمعت فيهِ على طريقة بديعة كلُّ عجائب الكهرباء المكتشفة في عصرنا. وهو في الليل يبرز للعيان على اشكال متلألئة يعجز عن وصفها احذق لسان فترى هذا القصر كأنهُ شعلة نار تسحر الالباب وتأخذ بالابصار. وفي هذا القصر من الآلات المولدة للكهرباء ما توازي قوّتهُ ١٢٠٠٠ حصان ويستغرق ايقاد القصر كلَّ يوم نحواً من ٢٠٠ طن فحم يُجمع بخارها في مراجل فيتجمّد ويصير ماء يندفع الى « قصر المياه » بمعدَّل مئة الف ليتر في الساعة

وهذا « قصر المياه » احدى آيات المعرض وهو عبارة عن اروقة متسعة يعلوها قببٌ ملوَّنة وفي حضيضها ما يمثّل صخوراً مجريَّة ينبع من وسطها الماء. وفي صدر الباحة حوض كبير تخرج من وسطهِ صفوف من الحجارة مستديرة الشكل كدرجات وفي اعلاها فوّارة عظيمة تتدفّق منها المياه المرتفعة الى علوّ ٣٠ متراً فتنعكس وتسقط على الدرجات كأنها الشلالات الى ان تبلغ الحوض. وعلى جوانب الحوض تماثيل جمة من حيوانات وطيورٌ مختلفة واشخاص خرافيَّة وكلها يمجّ المياه او يصبها من القرب على طرائق شتى. وفي ظلام الليل تلبس هذه المياه ثوباً من النور فتصبح كلها ضياء وتتناثر في الفضاء كأنها سبائك اللجين. هذا فضلًا عن فوّارات اخرى تتلوَّن بالوان قوس قزح

ومما يستحقُّ الذكر ايضاً مشاهد مختلفة مبنيَّة على خواص الكينياتوغراف الذي وصفناهُ في المشرق (١ : ١٤١) فمن ذلك انهم مثلوا سفينة كبرى واجلسوا فيها القوم وحركوها بحركات اشبه بسير السفينة اذ تمخر العباب. ثمَّ اجازوا امام اعينهم صور مدن بحريَّة فيشعر الركاب كأنهم يخرجون من مرسيليا ويبحرون الى تونس ثمَّ الى نابولي والبندقيَّة والاستانة العليَّة وفي اثناء السفر يسمعون صفير البخار وجعجعة الآلات ويُصابون بدوار البحر ويتنسّمون النسيم البحريّ المشوب بروائح الطحلب والنباتات البحريَّة وهذا المشهد دعوهُ « ماريوراما » اي منظر البحر

ومن هذا القبيل ايضاً « الكينيوراما » اي مشهد الحركة يجلسون الزوّار على مركبة متعلّقة بمنطاد. ثمَّ يوهمونهم انَّهم يصعدون بهم الى طبقات الجوّ العليا فيمثلون لهم

الارض هابطة من تحت ارجلهم وهي تصغر شيئاً فشيئاً فيجتازون من اقاصي اوربَّة الى اقاصيها يرون العواصم والمدن من علٍ كأنَّهم يسافرون في مركبة هوائيَّة وهم مع ذلك ثابتون في امكنتهم دون حراك

وعلى هذا النمط ايضاً مثَّلوا للزوَّار حالات الارض في اطوارها المختلفة منذ بدء العالم الى الازمنة الاخيرة ودعوا ذلك « ديوراما ». ثم مثَّلوا طوافاً حول الارض فينتقل الناظر من اوربَّة الى الشرق فيرى بلاد الدولة العليَّة واليونان والشام (وترى بيروت وابنيتها منها (كليتا) ومصر والهند والصين وجهات اميركة عائداً منها الى ليڤربول ثم الى باريس وقد اقتضى هذا المشهد البديع نيِّفاً و ٤٠٠٠ صورة فوتوغرافيَّة تمثِّل كلَّ بلدٍ بهيئتهِ الخصوصيَّة وابنيتهِ واحوال اهلهِ الخ

هذا ونضرب صفحاً عن غرائب كثيرة كالدولاب العظيم البالغ قطرهُ مئة متر وصورة التزوف وتمثيل خراب پُنپايي . بانفجار هذا البركان وغير ذلك ممَّا لا يسعنا هنا وصفهُ ويطول بنا شرحهُ

٤

ولكن أيحسن بنا ان نسكت عمَّا احتواهُ المعرض الباريسي من الآثار الشرقيَّة . والحق يقال انَّ للشرق في هذا المعرض مقاماً رفيعاً لا يكاد الزائر يسير ذات اليمين او ذات الشمال حتى يلقى في طريقهِ ما يذكّرهُ الشرق ومفاخرهُ القديمة او الحديثة

واول هذه الآثار الجديرة بالاعتبار اكبر مداخل المعرض وهو الباب المدعو بالفخيم المشرف على ساحة الائتلاف (pl. de la Concorde) فانَّ الذي بناهُ استقدح زناد فكرتهِ الوقَّادة فلم يجد لسوق العالم مدخلاً اليق بها من بابٍ شرقيّ تحلَّى حناياهُ في كبد السماء وتناطح قبابهُ القبة الزرقاء.

ومشيّد هذا المدخل الخطير هو المسيو بيناي (R. Binet) الذي أُولع منذ حداثتهِ بالهندسة الشرقيَّة فجعلها جلَّ عنايتهِ وقصارى بغيتهِ فلمَّا عُهد اليهِ بناء هذا الباب جمع فيهِ خلاصة محاسن الهندسة العربيَّة من اقواس وحنايا وافاريز واطناف ونقوش لا يشكُّ العابر تحتهُ انَّهُ في غرناطة او بغداد في ايَّام عزّهما على عهد الخلفاء . وعلى جانبي المدخل منارتان رشيقتان كانهما مئذنتان تنبعث منهما اشعَّة الكهرباء ليلاً

هذا وبين القصور التي ابتنتها الدول الاوربيَّة في معرض باريس ما يمثّل الطريقة

الشرقيَّة في البناء. فان قصور الرومان والسرب والبلغار واليونان كلها شرقيَّة الهيئة تعارض الابنية البوزنطيَّة كما شاعت في ايام ملوك القسطنطينيَّة لاسيما الهندسة الدينيَّة التي بلغت شأوًا عظيمًا في القرون السالفة. امَّا قصر البشناق (Bosnie) فقد بُني على مثال قلعة شرقيَّة ترى برجهُ ومرقبهُ وصوانهُ كما كانت تحصَّن قديمًا الحصون في وجه العدوّ. هذا فضلًا عن معروضات هذه الدول المذكورة وهي بالشرقية اشبه منها بالغربيَّة كالانسجة والحرائر والاسلحة والطنافس والمصاغات. وكذلك في قصر الدولة الاسبانيَّة كثير من آثار قدماء العرب ترى في جملتها البزَّة الحربيَّة التي لبسها ملوك غرناطة ابو عبد الله الزغل

ثمَّ ان القصور المبنيَّة لمعروضات افريقية في باريس كلها من النمط الشرقيّ. فان القصر المصري اشبه هيكل قدماء المصريين على عهد الفراعنة مع اروقته وقببه الانيقة. وفي اسرابهِ صورة مدافن ملوك مصر على هيئتها ونقوشها العاديَّة. ويلحق بالقصر المصري سوقٌ جُهِز على صورة اسواق القاهرة لا يختلف عنها ذرَّةً مع ملعب لتمثيل الروايات والعادات الشرقيَّة. والأنباء الاخيرة افادتنا انَّ بعض شعراء الفرنج مثَّل فيهِ رواية رعمسيس الثاني

وللدولة التونسيَّة قصر تشغل مساحتهُ ٤٩٠٠ متر جُمعت فيهِ كلّ خواصّ البناء العربي الشائع في شمالي افريقية والبناء الاعظم من هذا القسم يمثل جامع سيدي محرز. وفي السوق التونسية المجاورة لهذا المقام عدَّة مباني تاريخيَّة كنارتي سيدي مخلوف وجامع سفاقس وباب سوس وقهوة سيدي ابن سعيد

امَّا الجزائر فانَّ مبانيها متسعة الافناء رحبة الجوانب عربيَّة الشكل يخال لمن يراها انَّ قسمًا من مدينة الجزائر قد نُقل الى باريس ويُدخل اليهِ من باب شُيد على مثال ابواب المدن الاسلاميَّة القديمة

وليست ابنية المعرض المخصوصة بمراكش والسودان والسينغال سوى مباني شرقيَّة كما يعهدها سكَّان تلك البلاد

واذا عدلنا الى تفقُّد الاقسام التي شُيدت للبلاد الاسيويَّة وجدنا انَّ قصر الدولة العليَّة يفوز بينها بقصب السبق وهو على شكل مربَّع مستطيل لهُ مدخل جليل على شكل قوس مرتفع فيهِ النقوش البديعة وعلى الجانب الايمن برجٌ شاهق يرى الزائر من اعلاهُ منظرًا بهيجًا. امَّا البناء الاوسط فيمثِّل احد جوامع دار الخلافة. وفي هذا القسم

العثماني معروضات الشام والاناضول فيه من غرائب المصنوعات ما يروق الانظار ويشهد لبلادنا بالتقدّم والاقتدار (انظر الصورة)

وقد احبّت دولة العجم ان يعرف الفرنسيون ما لها من المباني الفخيمة فانّ الشعبة المخصوصة بها تمثّل اجمل قصور مدينة اصفهان الذي يُطنب في وصفه المسافرون فبُني بدقّة عجيبة وزُخرف بطريقة غريبة تصلح بمقام صاحب الجلالة مظفّر الدين خان ملك فارس الذي صمّم النيّة على زيارة المعرض وقد خرج من حاضرة ملكه طهران مؤخّرًا قاصدًا عاصمة الفرنسيس ولعلّهُ اليوم بانها يحلّ فيها ضيفًا كريمًا

امّا الشرق الاقصى فانّ حصّتهُ في المعرض جزيلة الشأن فترى في المعرض اساليب الهنود واليابانيين والصينيين في الهندسة منها قصور محكمة البنيان ومنها هياكل دينيّة مع ما فيها من الاصنام والاوثان يخدمها قوم من السدَنة ويجرون فيها مناسكهم الدينيّة. ويلحق بهذه الابنية اروقة دولة سيام وكمبودج والتونكين مع ما تختصّ بهِ تلك البلاد من النوادر واللطائف

على أنَّهُ يسرُّنا ان نذكر في الختام انّ للشرق المسيحي في هذا المعرض نصيبًا كبيرًا فان الرسالات الكاثوليكيّة قد ارسلت من كل الشرق معروضات عديدة تنبئ بما للكثلكة من الفضل العميم في تهذيب الشعوب وترقيتها الى معارج الفلاح. وقد بُني لهذه الرسالات قصرٌ خصوصي بجوار التروكاديرو لا يتمالك كلُّ من يزوره ان يقرّ للمرسلين الكاثوليكيين في كلّ المعمور بالاعمال المبرورة والمساعي المشكورة الآئلة الى مجد الله الاعظم وخير الامم الماديّ والادبيّ معًا تحت نظارة رئيس الاحبار وراعي الرعاة وخليفة هامة الرسل ثبّت الله عرشهُ على مدى الدهور (١

نبذة

في اصل ثوب سيدة جبل الكرمل مع تعريف الدرجة الثالثة من الرهبانيّة الكرمليّة

لحضرة الاب انستاس الكرملي

سألنا بعض قرائنا من حلب وبيروت ان نفيدهم بوجيز الكلام عن اصل ثوب سلطانة جبل

(١ اخذنا كثيرًا من الاوصاف السابقة من كتاب افرنسي نشرهُ اصحاب المحلّ التجاريّ المدعو Bon Marché اعارنا اياهُ جناب الموسيقيّ البارع شكري افندي سودا

الكرمل الواقع عيدها في ١٦ تموز مع تعريف الدرجة الثالثة من الرهبانيَّة الكرملية وبيان الامتيازات الممنوحة لكليهما والشروط المفروضة على المشترك بها. فتلبيةً لدعائهم طلبنا من حضرة الاب الفاضل انستاس الكرملي ان يرخّص لنا بنشر لمة مستحسنة تولى سابقًا طبعها واستوفى فيها الشرح عن كلّ ما مرَّ فاجاب بما فُطر عليهِ من الهمَّة واللطف الى ما طلبنا

١ لمة في ثوب العذراء سلطانة جبل الكرمل

١ً (اصلهُ) قد استحسن هذه العبادة التقويَّة اكثر من عشرين حبرًا اعظم. وقد ازدادت علاء وشرفًا بالغفرانات التي عُقدت بها. وقد تمكَّنت في البيعة بالكرامات والعجائب التي آتاها الله بواسطتها. امَّا اصلها فيرتقي الى نصف القرن الثالث عشر

وكانت رهبانيَّة العذراء في ذلك العهد هدفًا لسهام الشدائد والاضطهادات. وكان القديس سمعان استوك (Stock) الانكليزيّ الاصل والرئيس السادس العام على الكرمليّين يبتهل من مدَّة سنين الى سلطانة السماء لتحامي عن ابنائها ولتُعلي كعبهم بانعام يمتازون بهِ دون غيرهم. فلبَّت البتول دعوتهُ وظهرت لهُ في اليوم ١٦ من شهر تموز سنة ١٢٥١ محتاطة بارواح سماويَّة ومكتنف وجهها بهالة نيّرة متوهّجة وقدَّمت للقديس الثوب (الصدار) الذي اصبح العلامة المميّزة للرهبانيَّة وقالت لهُ: «هذا الثوب يكون علامة الامتياز الذي فُزتَ بهِ لك ولاولاد الكرمل. وكل من يمُت بهِ يخلص من نيران جهنم. اذ هو علامة النجاة...» الخ »

وفي غرَّة القرن الرابع عشر ظهرت سلطانة الكرمل عينها للبابا يوحنَّا الثاني والعشرين فاوصتهُ ان يُعامل احسن معاملة الرهبانيَّة الواقفة بخدمتها بنوع خاص. وزادت على الانعامات التي وعدت سمعان انعامًا آخر بقولها:

« ولابسو ثوبي منذ اول يوم خروجهم من هذه الدنيا وسيرهم الحثيث الى المطهر انا أُمّهم انزل اليهم نزولًا لطيفًا يوم السبت الذي يلي موتهم وانجيهم من المطهر وآتي بهم الى جبل الحياة السرمديَّة المقدس »

هذا وان البابا يوحنَّا اثبت هذا الظهور الذي وُفق اليهِ وروى هذه العبارات في براءتهِ الصادرة في ٣ اذار سنة ١٣٢٢ وهي البراءة المسمَّاة بالبراءة السبتيَّة لانهُ يُذكر فيها انعام السبت المحكي عنهُ

٢ً (امتيازاتهُ) فيتَّضح ممَّا تقدَّم شرحهُ انهُ يوجد انعامان متميّزان الواحد عن الآخر ومعقودان بثوب العذراء: (اولًا) نعمة الحصول على موتٍ صالح او النجاة من

جهنم. (الثاني) النجاة من المطهر في السبت الاول بعد موت لابس الثوب. بل والنجاة من هـذا المطهر باسرع ما يمكن على ما صرَّح بهِ كتاب الفرض الروماني

٣ً (فرائضهُ) ان اراد الانسان ان يتمتَّع (بالانعام الاول) فحسبهُ ان يلبس ثوب العذراء من يد رئيس الرهبانيَّة او من ايّ كاهن كان ممَّن عُهد اليهم ان يُلبسوا هذا الثوب. وعلى لابسهِ ان يُبقيهُ على صدره الى ساعة موتهِ وان تكون الشقة الواحدة منهُ على الصدر والآخرة على الظهر وان لا يلبسهُ «بهيئة أُخرى»

وان اراد الانسان ان يتمتَّع (بالانعام الثاني) فيجب عليهِ ان يتمم ما عـدا ما ذُكر ما قالتهُ العذراء للبابا يوحنا الثاني والعشرين وهو: ١ً ان يحفظ العفة بموجب حالهِ. ٢ً ان كان يُحسن القراءة ان يتلو فرض العذراء الصغير (امَّا الذين يتـلون الفرض القانوني فهم مُعفون منهُ). ٣ً ان كان لا يُحسن القراءة عليهِ ان يحفظ ايَّام صوم البيعة وان يزيد على ذلك الانقطاع عن أكل اللحم الاربعاء والسبت من كل اسبوع الَّا نهار عيد الميـلاد اذا وقع في احد هذين اليومين. وكل من لا يستطيع ان يقوم بهذه الشروط عليهِ ان يطلب البدل عنها من راهبٍ كرمليٍّ او من كاهن معهود اليهِ مثل هذا الامر

٤ً (ملاحظات) (اولًا) يستطيع اخوة ثوب العذراء واخواتها ان يكسبوا جميع الغفرانات الممنوحة لكنائس رهبانيَّة الكرمل اذا زاروا بيعة خورنيَّتهم في المواطن التي لا يوجد فيها بيعة للكرمل. (امر البابا بيوس التاسع في ١٥ حزيران سنة ١٨٥٥). (ثانيًا) منذ امر ٢٧ نيسان سنة ١٨٨٧ صار تقييد الاسم في الدفتر لازمًا والَّا يعتبر كالعدم

٥ً (ممارسة) قبّل ثوب العذراء صباحَ مساءَ قائلًا: «يا قلب سلطانة الكرمل الخالي من كلّ دنس صلِّ لاجلي ودافع عني»

٢ فوائد عن الدرجة الثالثة من رهبانية الكرمل

١ً (تعريفها وتاريخها) الدرجة الثالثة من رهبانيَّة الكرمل هي اشتراك تقوي وتعبُّدي برهبانيَّة الكرمليّين لها قانون متعلّق بها وغايتها تكريم الله ومريم العذراء بنوع خاص بواسطة نذرين بسيطين وهما نذر العفَّة الذي ينذرهُ كل واحدٍ منَّا بموجب حالهِ

ونذر الطاعة لرئيس الرهبانيَّة العام وللرؤساء الذين ينوبون عنهُ في الامور التي ترجع الى قوانين هذه الجماعة

وقد ذكر التاريخ على مرّ العصور اسامي كثيرين من الذين رقّوا هذه الدرجة من رهبانيَّة الكرمل من ذكور واناث وقد اثبت هذه الدرجة البابا نيقولا الخامس سنة ١٤٥٢ والبابا سكستوس الرابع سنة ١٤٧٦ بسلطتهما الرسوليَّة ومنحا ابناءها الحاليين والمستقبلين عين الامتيازات التي يتمتع بها اصحاب الدرجة الثالثة من رهبنة القديس فرنسيس والقديس عبد الاحد والقديس اوغسطين. وبعد هذين البابوين اثبت هذه الجماعة كثيرون من البابوات الى ايامنا هذه

٢ً (شروط الدخول) يجب على كل من يريد دخول هذه الرهبنة للاشتراك بكافَّة النعم الروحيَّة ان يكون حسن الصيت صادق الديانة وان تكون رغبتهُ ميالةً الى اكتساب النعم الروحيَّة

ثمَّ يُلبَس يوم دخولهِ ثوبًا خصوصيًا يباركهُ رئيس الجماعة وحينئذٍ يجب عليهِ ان يُظهر مدَّة سنة كاملة شهادةً بيّنة على عيشتهِ التقيَّة. وبعد مرور هذا الزمن يُقبَل بين ابناء هذه الرهبنة وذلك بان ينذر النذرين المذكورين

٣ً (المارسات) على اعضاء الدرجة الثالثة: ١ً ان يصلوا يوميًا فرض العذراء الصغير. ٢ً ان ينقطعوا عن اكل اللحم ايَّام الاربعاء والجمعة والسبت ما خلا ايَّام الاعياد الكبيرة من اعياد الرهبانيَّة. ٣ً ان يتأملوا في النهار مقدار نصف ساعة صباحًا ونصف ساعة مساء. وما عدا هذه المارسات يوجد اعمال أُخرى يمكن لرئيس الرهبنة ان يُعفي منها او يبدلها بغيرها وذلك بموجب احوال الاعضاء.

٤ً (ذكر اعياد اعظم القديسين من رهبانيَّة الكرمل):

ك ٢	٢٢	القديس انستاس. شهيد	〃	٢٥	القديسة مريم المجدليَّة دي باتري
شباط	٠٤	القديس اندراوس كرسيني. معترف	حزيران	١٤	القديس ايليشاع. نبيّ
〃	١٥	القديس بطرس توما. شهيد	تموز	١٦	العذراء سلطانة جبل الكرمل
آذار	٠٦	القديس كيرلُّس. معترف	〃	٢٠	القديس ايليا. نبي
〃	٢٩	القديس برتولد. معترف	آب	٠٧	القديس ألبر
نيسان	١٧	الطوباويَّة مريم اكاري	ايلول	٠٢	القديس بروكار. معترف
ايار	١٦	القديس سمعان استوك	ت ١	١٥	القديسة تريزية. بتول مصلحة

رهبانية الكرمل

ت ٢ ٥٠ الطوباوية فرنسيسكة امبواز

« « ٢٦ القديس يوحنا الصلبي

ك ١ — ١٥ الطوباوية مريم الملائكة

(تنبيه) ان مدير الجماعة موكل بان يخبر الاعضاء عن الغفرانات التي يمكنهم ان يكسبوها في هذه الحفلات وغيرها التي لم نذكرها خوف الاطالة

مدرسة عين طورا

نبذة تاريخية في اصلها لاحد افاضل الاباء اللعازريين (تتمة)

وفي سنة ١٨٤٩ كان التأم المجمع العام فسافر الاب كروس مع الاب لاروا لحضور المجمع المذكور في باريس حيث مقر رئيس جمعيتنا العام. فعُيّن الاب كروس استاذًا في مدرسة شالون الاكليريكية. وبقي هناك ثلث سنين ثم عاد الى باريس حيث قضى اجلهُ سنة ١٨٥٢. واما الاب لاروا فرجع الى سورية في اواخر سنة ١٨٤٩ وسُمّي اذ ذاك الاب لادريار رئيساً لمدرسة عين طورا ففرح بهِ الآباء والتلامذة ايَّ فرح لمعرفتهم خصالهُ ومزاياهُ المشكورة. وبقي في هذه الوظيفة الى سنة ١٨٥٢ التي فيها ذهب الى الاسكندرية ولبث فيها الى سنة ١٨٥٥ ثم انتقل الى بعض اديرتنا في فرنسا واخيرًا عُيّن سنة ١٨٦١ رئيساً لدير القديس يوسف في رُيو (Rio) حيث قضى نحبهُ مملوءًا اياماً ومبرّات سنة ١٨٨٤. وهو الذي اشترى سنة ١٨٥١ المحل الكائن في زوق مصبح الى اليوم لقضاء ايام التنزه الكبيرة. وهذا المنتزه يحتوي على قطعة ارض كبيرة فيها اشجار الصنوبر والسنديان والعفص ذات الاغصان الغضة الكثيفة التي تفيء بظلها الوارف التلامذة حين يمرحون. وتحت هذه الاشجار تصير عند المساء الصلاة الاعتيادية او تلاوة الشهر المريمي حسب الاقتضاء فيجتمع اذ ذاك الآباء والتلامذة حول هيكل مريم المقام من اغصان الاشجار بيد التلاميذ انفسهم والمزيَّن بالازهار والشموع المضيئة وبعد الصلاة في مدة الصيف يتناول الجميع اكلة العشاء تحت ظل الاشجار فيتم بذلك الصفاء ويكتمل الرغد والهناء. وهذا المصيف مشرف على البحر يبعد عنهُ غربًا نحو نصف ساعة وبُعدهُ عن عين طورا مثل ذلك شرقاً. وفيهِ بئرٌ صافية الماء وقد غُرس حولهُ لجهة البحر كرم يانع يُستخرج منهُ نبيذ ذهبيّ اللون لذيذ الطعم مشهود في هذه الجهات

وقبل ذهاب الاب لادرياز الى الاسكندريّة كما سبق لنا القول اتاح الله تعزية كبرى لهُ وللمدرسة جماء الا وهو نقل ذخائر الشهيد كوسيليوس (Caucilius) من شهداء الداميس الممنوحة سنة ١٨٤٦ من البابا غريغوريوس السادس عشر للاب لادروا في احد اسفارهِ الى رومية مدّة رئاسته على الرسالة السوريّة لكن الظروف لم تسمح لهُ بنقله حينئذٍ الى المدرسة بل وُضع موقتًا في كنيسة راهبات المحبة في الاسكندريّة الى ان تيسّر نقلهُ في اواخر نيسان سنة ١٨٦٢. فوصل مجرًّا الى جونية في اوائل ايار من السنة نفسها وجرت حفلة نقلهِ الى المدرسة في ٩ ايار باحتفال وأبهة عظيمين وقد اشترك بها ليس فقط سكّان عين طورا بل واهالي القرى المجاورة في كسروان والقاطع وغيرها. وكان هذا العيد بهيجًا عمّ بهِ الفرح وشمل الطرب والسرور وكان السيد ڤيلاردِل القاصد الرسولي في سوريّة قد فوّض الى الاب لادرياز فتح الصندوق الحاوي تلك الذخيرة الثمينة ليتحقّق هل الختوم باقية على ما كانت عليهِ ام لا فاجرى الاب المذكور هذا الفحص القانوني في كنيسة القديس دوميط للموارنة في زوق ميكائيل. وحينئذٍ عُرض جسد الشهيد في تلك الكنيسة لاكرام المؤمنين المتقاطرين من كل الانحاء. ثم حُمل على الاكف في محمل مزيّن بالازهار والانسجة الثمينة المذهبة وسار الموكب الحافل على هذا النمط باخبات وخشوع بين تراتيل التلامذة الرخيمة وصلوات الجماهير الحارّة الى ان وصلوا الى المدرسة التي كانت كاسية ابهى حلة من الزينة تتلألأ بالانوار الساطعة. وهناك وضع جسد الشهيد على منصة مزيّنة وختمت الحفلة بزياح القربان المقدس وبقي الجسد معروضًا لاكرام المؤمنين مدة ثمانية ايام وفي ختامها طيف بهِ في المدرسة الى دير راهبات الزيارة (١ وبعد ذلك وضع الجسد في صندوق مذهب مكشوف تحت الهيكل الكبير في كنيسة القديس يوسف القديمة ثمّ في معبد المدرسة الذي شيّد في سنة ١٨٨٣. وبعد اتمام كنيسة المدرسة الكبرى التي سعى بتشييدها حضرة الاب الفاضل الفونس سلياج الرئيس الحالي على مدرستنا نقل اليها السنة الماضية

١) تشيّد هذا الدير سنة ١٧٤٦ بايعاز الاباء اليسوعيين الأفاضل وسعيهم وهو باقٍ الى الآن مزهرًا بالفضائل والاعمال الخيريّة تسكنهُ ثلاثون راهبة وأضيف اليهِ سنة ١٨٨٥ مدرسة داخلية للبنات يتعلّمن فيها الافرنسية والعربية والحساب والجغرافيّة والفنون والاشغال اليدويّة وفيها نحو ستين من الاوانس يدبّرهنّ حضرة الاب النبور الخوري يوسف صفير احد اساتذة العربية في مدرستنا

ووضع تحت هيكل من الرخام أُقيم لهذه الغاية عن شمال الهيكل الكبير وكان قد تنازل غبطة السيد البطريرك بولس مسعد فترأس هذا التطواف بنفسه فزاد العيد رونقًا وبهجةً

وبعد الاب لادريار تولّى تدبير مدرستنا الاب اوجين اتيان ديبار الشهير Eugène-Etienne Depeyre وكان كرّم الله وجههُ جامعًا لشتات الفضائل عالمًا حكيمًا حازمًا ودرسولًا غيورًا فاضلًا متفرّدًا بالصفات العالية فاتى اعمالًا كبيرة يقرّ لهُ كلّ من عرفهُ وتخلّد لهُ ذكرًا جميلًا معطرًا بالشكر والثناء. فازهرت المدرسة بايامه ونمت بعنايته وحكمته الباهرة وتعززت قوانينها ومواد دروسها بجزمه وهمّته فأخذ التلاميذ يتواردون من كل فجّ وصوب حتى التزم بتوسيع المنامات فوق قلالي الآباء حيث يوجد اليوم محل المرضى. وهو الذي اقام في المدرسة سنة ١٨٥٣ اي بعد وصوله اليها ببضعة اشهر اخوية الحبل بلا دنس بسيدتنا مريم العذراء عليها السلام فكان اول مرشد لها. وخرج من هذه الاخوية نحو من سبع مائة مشترك وهم منتشرون في كلّ الاقطار مزهرون بالفضائل والآداب سائرون على سنن ديننا المقدس قدوةً لامثالهم. ولو اردنا تعدادهم هنا لضاق بنا المجال (١). ولم تزل هذه الاخوية زاهية الى اليوم يرشدها حضرة الاب الرئيس نفسهُ واعضاؤها يبلغون نحوًا من تسعين يجتمعون كل احد وعيد لتلاوة فرض مريم واستماع نصائح الاب المرشد في معبدها الخاصّ الكائن في كنيسة القديس يوسف البتول. وقبل نهاية الكلام عن هذه الاخوية المباركة لا بدّ لنا ان نذكر حضرة الاب الفاضل المرحوم فردريك لويس كوكيل (Cauquil) الذي كان اول مساعد للاب ديبار في تدبيرها وارشادها والذي رأس مرةً مدرستنا رحمهُ الله رحمةً واسعة. ولمّا رأى رئيس مدرستنا الحالي الاب الفونس سلياج الخير العميم الناجم عن العبادة لمريم في اخويّتها اقامها سنة ١٨٨٤ لاهالي قرية عين طورا يدبرها احد الآباء اللعازريين مهتمًّا بشؤونها وهي نامية

(١) الّا انهُ لا يسعنا ان ننسى واحدًا منهم تفرد بتقواهُ وعبادته للبتول على ما كان تدرب عليه اذ كان عضوًا لاخويتها في مدرستنا وهو الشاب الورع انطون افندي نحاس الذي لشدّة حبّه لسيدته السماوية لم يزل منذ خروجه من المدرسة الى ايامنا هذه يواصل هداياهُ الثمينة لمعبدها المقدس وقد صار لنا الحظ بقبول احدى هداياهُ في السنة الماضية اذ كنّا من المساعدين للاب المرشد في تدبير الاخوية

لخير النفوس ومجد الله وتكريم مريم العذراء. امَّا اعضاؤها فيبلغون مائة وخمسين عدًّا بين رجال ونساء

وعند افتتاح المدرسة في السنة التالية اي سنة ١٨٥٦ بلغ عدد التلامذة مائة واربعة فضاعف الاب لادريار همَّتهُ في توسيع المدرسة والسهر على تقدُّم التلامذة فضيلةً وعلمًا. ولمَّا اشتدَّت الثورة في الجبل سنة ١٨٥٩ لم يحدث شيء في المدرسة ممَّا يقلق راحتها ويشوّش نظامها. وفي ختام السنة صارت حفلة توزيع الجوائز بابهة واحتفال غير اعتياديين اذ كان متصدّرًا فيها صاحبا الغبطة المثلثا الرحمات السيد فالركا البطريرك الاورشليمي على اللاتين والسيد بولس مسعد البطريرك الانطاكي على الموارنة مع اثنين من اساقفة طائفته

وفي تلك الاثناء تشرَّفت المدرسة شرفًا باذخًا بزيارة رجلين شهيرين عريقي الحسب والنسب ألا وهما لويس فيليب دي اورليان كونت باريس واخوهُ روبر دوق شارتر سليلا الاسرة الملكيَّة في فرنسة فصرفا فيها بعض ايام على الرحب والسعة وفحصا بنفسيهما التلامذة في اللغة الافرنسيَّة وسرَّا غاية السرور من نجاحهم ونجابتهم. ولمَّا كانت سنة ١٨٦٠ وحوادثها المعروفة التزم الاب ديبار بتسريح التلامذة وذهب هو وخمسة عشر تلميذًا كانوا مكثوا في المدرسة الى الاسكندريَّة واقاموا هناك مدة في ديرنا حيث لاقوا كل نوع من الالتفات الاخوي واللطف المحمود. وكان اذ ذاك الاب يوحنَّا بينَّا (Pinna)(١) باقيًا في المدرسة مع ثلاثة من الاخوة المساعدين ليحافظ على المدرسة رغمًا عن الاضطرابات مزدريًا هو واخوتهُ بالخوف والخطر ومعتنيًا بالجرحى الزحليين الذين التجأوا عددًا غفيرًا الى عونهِ فقابلهم بكل لطف ومحبة وساعدهم بكل سخاء وكرم شأن بني القديس منصور دي بول

امَّا الاب لاروا فبعد ان انهى تأسيس مدرستنا وديارات راهباتنا في الاسكندريَّة عاد الى سوريَّة وجعل مقرَّهُ في دمشق. وهو الذي اجتهد في خلاص المرسلين والراهبات من الخطر وبعد ان تخفوا بضعة ايَّام تمكنوا من الوصول الى بيروت بسلام وهناك شعر باتزعاج في صحَّتهِ فاتى عين طورا مستشفيًا لكن تلك لم تكن الَّا منَّة من العناية الالهيَّة

١) اتى هذا عين طورا سنة ١٨٤٧ لتدريس الايطاليَّة وعين سنة ١٨٥٨ وكيلًا للدرسة بعد سفر الاب يوحنا ناجان (Najean) لرئاسة ديرنا في دمشق

التي اتاحت لهُ رؤية تلك المدرسة العزيزة التي أسسها لآخر مرَّة اذ انهُ لم يلبث ان انتقل من هذه الحياة الفانية متلفظًا بكلمات الرسول المصطفى: « جاهدتُ جهادي وكملت سعيي فمنذ الان يُحفظ لي الاكليل الذي يجازيني بهِ سيدي ». اجل قضى الاب لاروا بيد ان اعمالهُ لم تزل حيَّة تشهد بفضلهِ. فلمَّا ذاع نعيهُ بكاهُ الجميع لتقدمهم بهِ ابَا غيورًا فاضلًا واخذوا يتقاطرون ارسالًا ووحدانًا تأديةً لفروضهم الاخيرة نحو هذا الاب المحبوب ثمَّ ألحدوهُ في مدفن المدرسة بالقرب من اولئك المرسلين الذين كانوا تقدَّموهُ الى الديار الخالدة وذلك لثلاثين خلونَ من تموز سنة ١٨٦٠

مدرسة عين طورا من سنة ١٨٦٠ الى اليوم

ولمَّا استتبت الراحة وضرب الامن اطنابهُ على هذه البلاد رجع الاب ديبار ومن معهُ من المعلمين الى عين طورا واعان للحال افتتاح المدرسة فعادت الامور الى مجراها العادي في اوائل تشرين الاول. واحسن كثيرون من اهل الثروة خاصَّة من فرنسا على السوريين المنكوبين فارسل الكونت لويس فيليب الى الاب ديبار مبلغًا وافرًا من المال لمساعدة المحتاجين منهم. وكانت الحكومة الفرنسيَّة قد بعثت بالاب شارل لافيجري الذي كان وقتئذٍ مديرًا للمدارس الشرقيَّة (وقد صار فيما بعد في مصافّ الكرادلة ورئيسًا لاساقفة الجزائر) وذلك للنظر في امر المُتيتَّمين فعني بهم ووزَّعهم على اديار المرسلين والراهبات. فاصاب مدرستنا سبعون منهم اتى بهم الاب لافيجري بنفسهِ وسلَّمهم لعناية آباء مدرسة عين طورا فاصبح اذ ذاك عدد تلامذتها ينيف على المائتين ولم يكن في المدرسة مكان يسع الجميع لكنَّ المحبة لا تقلق ولا تضطرب ولا تهتمّ للغد تلك هي الخطَّة التي توخَّاها آباء المدرسة في تلك الآونة فبارك الرب حسن نيَّاتهم واتاح لهم توسيع نطاق المدرسة بمدَّة وجيزة. وممَّا يستحق الذكر من حوادث تلك السنة زيارة الجنرالين دي بوفور دوبول (Beaufort d'Hautpoul) ودوكرو (Ducros) والاميرال سيمون للمدرسة فسرًّا لما لاقوا فيها من الترتيب ومن نجابة التلامذة وآدابهم

ولم تزل المدرسة بتقدُّم ونجاح تحت تدبير الاب ديبار الى سنة ١٨٦٦ التي فيها اعتراهُ ألم بذراعهِ ألزمهُ الرحيل الى فرنسا وأُقيم مقامهُ الاب فردريك لويس كوكيل الذي كان قدم عين طورا سنة ١٨٥٩ فمشى على آثار سالفهِ مدبّرًا شؤون المدرسة بهمَّة

وغيرة ونشاط . وفي ايامهِ تمَّ تدشين دير راهباتنا اخوات المحبة في زوق ميكائيل سنة ١٨٧٠ للاعتناء بالبنات اللقيطات ثمَّ أُضيف اليهِ من بضع سنوات دار للعجزة ومدارس لتثقيف البنات الخارجيات. وبقي الاب كوكيل في رئاسة المدرسة الى سنة ١٨٧٢ فأُرسل الى دمشق ثم عاد الى عين طورا واخيرًا عُين في بيروت سنة ١٨٧٩ حيث استدعاهُ الله اليهِ سنة ١٨٩٦ وكان رحمهُ الله وديعًا تقيًا ماهرًا في ارشاد النفوس محبوبًا من الجميع حتى انهُ كان يقضي ساعات طوالًا بل ايامًا كاملة في منبر التوبة متثبلًا بجب وحنان ابويين التائبين المتواردين اليهِ بكثرة من كل الطبقات طالبين نصائحهُ ومرتشدين بارشاداتهِ الخلاصيَّة

وخلف الابَ كوكيل في رئاسة مدرستنا الابُ يوحنَّا انطون رومان (Romand) وكان اتى عين طورا سنة ١٨٥٩ وكان رفض هذه الوظيفة بالرغم لشدة تواضعهِ وحبهِ اعتزال الوظائف والكرامات بيد انهُ لم يزل يستميح بالحاح إقالتهُ الى ان نالها مسرورًا. وفي مدة رئاستهِ القصيرة جدَّد نقش كنيسة القديس يوسف وبنيت فوقها القبَّة الموجودة فيها اجراس المدرسة الى اليوم حتى يتيسَّر بناء قبَّة جديدة تناسب البناء الجديد. ومن فضائل هذا الاب محبَّتهُ العظيمة للفقراء فكثيرًا ما كان يحمل اليهم بنفسهِ ما يعوزهم من قوت وكسوة وقد رقد بالرب برائحة القداسة والطهر في ٢٣ تشرين الاول سنة ١٨٧٣ في بيروت وكان قد طلب قبل وفاتهِ الى الاب ديڤان (Devin) الذي كان وقتئذٍ رئيس الرسالة ان تنقل رفاتهُ بعد وفاتهِ الى عين طورا فلم يتمَّ ذلك لبعض الظروف الَّا في ٢٦ ايلول سنة ١٨٨١

وبعد اقالة الاب رومان قُلد الاب شارل بيانكي (Bianchi) رئاسة المدرسة لكنَّهُ لم يلبث فيها سوى بضعة اشهر وهو موجود الان في ديرنا بنابولي. فقام اذ ذاك الاب انطون داستينو (Destino) بتدبير المدرسة وهو من الرجال الممتازين بتقواهم وغزارة علومهم فاحسن ادارة المدرسة وهو اول من اهتمَّ بتجديد بنائها على طرز جميل رغمًا عن الصعوبات المادّية والادبيَّة فوضع اول حجر منهُ في اواسط تموز سنة ١٨٧٤ لكنَّهُ لم يرَ تتمَّة عملهِ المشكور بل ترك عين طورا مأسوفًا عليهِ من الجميع لرئاسة ديرنا في اقبس المشيَّد سنة ١٨٧٠ بعد ترك اللعازريين دير حلب وهو الان موجود في مدرسة القديس مبارك في الاستانة العليَّة

وعندها عاد الاب ديبار الى عين طورا بهمة ومقاصد جديدة لكن الظروف لم تساعدهُ على اتمام نواياهُ الآئلة لنجاح مدرستهِ المحبوبة لان المنيَّة اغتالتهُ ناشبةً اظفارها في غرَّة كانون الثاني سنة ١٨٧٩ فخسرت بهِ مدرستنا رئيساً حكيماً ومدبرًا نشيطاً ودُفن في مدفن المدرسة بكل اكرام ولا يزال التلامذة الذين عرفوهُ يباركون اسمهُ

ولمَّا كانت العناية الربَّانيَّة ساهرة على خير مدرستنا منذ نشأتها الى اليوم ارسلت اليها في غرة ايار من تلك السنة رجلًا هو خير خلف لخير سلَف اريد بهِ الاب المفضال الفونس ساليج (Saliège) من لم يزل في رئاستها نحو من ربع جيل يدبر شؤونها بحكمة وهمة لا تخشى مللًا ساهرًا على صوالحها المادية والادبيَّة فنمت بايامهِ وايّ نموّ ونجحت وايّ نجاح اتاها وهي لا تحوي الَّا مائة وثلاثة واربعين تلميذًا فتراها اليوم تضمّ في حضنها نحوًا من الثلاثمائة واعمال حضرتهِ اشهر من ان تُذكر واوسع من ان تُعدّ وتُحصى. اولها اتمام ما كان بدأ بهِ الاب داستينو من البناء الجديد فشمَّر عن ساعد الجدّ مزدريًا بالعوائق وصيرها معهدًا بديعًا متقنًا راسخ الاركان متين الجدران واسع الارجاء باتمّ ترتيب وادقّ نظام (١

ثمَّ فتح سنة ١٨٨٢ مدرسة اكليريكيَّة لتهذيب الشبان المرشَّحين للكهنوت وللاعتناء بنوع خاص بالمدعوين الى اعتناق العيشة الرهبانيَّة في جمعيَّتنا فخرج منها كهنة افاضل ومرسلون غيورون منتشرون في اديارنا يزاولون بنشاط اعمال جمعيَّتنا سواء كان بفرنسة او في بلاد الصين ومداغسكر او في سوريَّة بارك الرب مساعيهم الخيريَّة. وفي سنة ١٨٨٧ حبًا بالنظام المدرسي جعل للتلامذة بدلة رسميَّة يتميَّزون بها عن غيرهم من التلاميذ. وفي السنة التالية اجرى عادة اعطاء الشهادة (الديبلومة) لمن انهى دروسهُ (٢

١) يُعدّ هذا البناء من الآثار المعتبرة في الشرق يؤمها اصحاب المقامات العاليَة وذوو المناصب الرفيعة دينًا ودنيا وهي بهيئة نصف مربَّع مكشوفة لجهة البحر بأقبية وطابقين: سفلي وفيهِ قاعات للدرس والمدارس وقاعات الكيميا والطبيعيات ومحل الاستقبال. وعلوي وفيهِ المنامات الواسعة وبيت الثياب وغرف الاساتذة والمكتبة. وداخل البناء دار فسيحة مقسومة الى شطرين لفئتي الكبار والوسط يفصلهما حديقة صغيرة في وسطها تمثال للبتول الطاهرة. اما فئة الصغار فلها دار واسعة بحذاء الكنيسة الجديدة التي يأتي وصفها آنفًا وفي صدر البناء تمثال للقديس يوسف شفيع المدرسة محفورة تحتهُ هذه الكلمات: قد اقاموني حارسًا. وفوقهُ ساعة كبيرة ذات ثلثة نواقيس في قبَّة تعلو وسط البناء

٢) واول من حاز هذه الشهادة هم الافندية: بولس زلزوم من بيروت وشكري حداد من صيداء وعزيز مايسترو من القاهرة

وقدم عنها فحصاً شافياً مرضياً فكان ذلك اكبر مساعد لتعزيز الدروس وتنشيط التلامذة فاستحسنت الحكومة الفرنسيَّة عملهُ هذا واهدت اليه وزارة المعارف والفنون رتبة « اوفيسيه داكادمي » ببراءة مختومة بختم الوزارة المرقومة وممضاة باسم الوزير بورجوا مؤرخة في ٢٨ تموز سنة ١٨٨٩. وفي تلك الاثناء كان حضرة الاب المفضال اميل بوقي قد عُيّن رئيساً لديرنا في بيروت ثمَّ للرسالة السوريَّة كلها ١) . وحضرتهُ كان قدم سوريَّة سنة ١٨٧٢ ومكث بدمشق مدَّة ثمَّ اتى عين طورا حيث درَّس صف الخطابة وقُلد وظيفة وكالة المدرسة مدة عشر سنوات فقام بكل ذلك بدقَّة ونشاط استلفت اليه انظار روسَائهِ فعيَّنوهُ لتدبير رسالتنا في هذه الديار. ولمَّا تمَّ البناء الجديد برمَّتهِ فكر الاب سليباج بعد استماحة الروساء بتشييد كنيسة جديدة على اسم سيدة الحبل بلا دنس فكان وضع اول حجر من هذا البناء البديع سنة ١٨٨٩ في ٢١ من حزيران وآخر حجر منهُ في ٢٩ ايلول سنة ١٨٩٥. وهذه الكنيسة هي ملاصقة لجناح المدرسة الجنوبي معقودة بغاية الظرف على هندسة القرون المتوسطة المعروفة بالنسق الغوطي (style gothique) ٢)

١) مكان الاب اغوسطين ديڤان المتوفى في ٢٦ حزيران سنة ١٨٨٨

٢) وهذه الكنيسة من اجمل كنائس الشرق كما يشهد بذلك ذوو الخبرة في اسرار الهندسة طولها اربعون متراً في عرض اثني عشر من الداخل وعلوّ خمسة عشر قائمة برشاقة وظرف مستندة الى ستة عشر عموداً ضخماً مزادنة القواعد والروُوس بنقوش بديعة وفي مؤخرها لجهة الشمال مصلّى مرتفع على عمودين بقناطر جميلة محدود عليهِ درابزون من الحجر الابيض النظيف المنقوش بحذق ودقَّة . وتحت المصلى ثلاثة ابواب كبيرة علوها اربعة امتار في عرض مترين ونصف متر . الواحد في الوسط لجهة الشمال وهو الباب الملكي والاخران واحد منهما عن اليمين لجهة الغرب والاخر عن اليسار لجهة الشرق يعلو كلًّا منهما كوة ورديةُ الشكل من الزجاج الملون . امَّا المذبح الكبير فهو الى جهة الجنوب مصنوع من الرخام الابيض النقي وعليهِ النقوش البديعة المستطرفة وهو صنع احد عملة بيروت البارعين وتحت مائدتهِ خمس قناطر صغيرة فيها خمسة تماثيل تناسبها حجماً وتوافقها زينةً . وهي تمثال القلب الاقدس في الوسط وعن يمينهِ تمثالا القديسين لويس ملك فرنسا وفرنسيس سالس صديق ومعاصر ابينا القديس منصور . وعن يسارهِ تمثالا القديسين لويس غونزاغا وانطونيوس البادوي . ومن جهتي المذبح ملاكان بالقد الطبيعي منتصبان بهيئة الخشوع على قاعدتين من الرخام والكنيسة سوى واحد مبلط بالرخام الابيض يتخلّل بلاطَ المقدس خطوط الرخام الاسود وكذلك مائدة المناولة التي تفصل المقدس عن صحن الكنيسة هي من الرخام المنحوت البديع الصنع والشكل موصولة بسلسلة من النحاس الاصفر متدلية ازاء المذبح . وفي صدر المقدس الى الجهات

ولمّا كانت الطرقات المؤدية الى المدرسة صعبة المرتقى وكانت الظروف تقتضي الاهتمام بمدّ طريق العربات بين بيروت وعين طورا. اهتمّ الاب سلياج بهذا المشروع واتخذ الوسائل لذلك الى ان تمّ رغماً عن الصعوبات الباهظة واتبع هذا العمل المشكور ببناء محلات واسعة للاستقبال مع واجهة ومدخل كبير للمدرسة فتمّ ذلك في اوائل اذار سنة ١٨٩٩ وهذا البناء ملاصق للقلالي القديمة المحفوظة من زمن الآباء اليسوعيين الاجلاء. وهو بأقبية وثلثة طوابق

ولمّا تمّ بناء المدرسة برمّتها أُقيم تمثال للقديس يوسف فوق مدخل المدرسة الجديد وتمّ ذلك بحفلة شائقة في ١٩ اذار يوم عيد هذا القديس الجليل

هذا ولم تكن همة حضرتهِ في الماديات باقلّ منها في الادبيات فقد صرف جل عنايته في تعزيز الدروس وتنظيمها وزاد في اوقات الدروس العربيّة حثّاً للطلبة على اتقانها ثمّ امر بترتيب غرفها على نسق مفيد وتنظيم لائحة لموادّ الدروس والفروض يجري عليها

الثلاث قد لبست الجدران بخشب الارز على طرز جميل . ومما يزيد جمال هذه الكنيسة نوافذها الملونة بالزجاج التي يبلغ علو كلّ منها سبعة امتار بعرض متر واربعين سنتيمترًا في المقدس وفي باقي الكنيسة هي مزدوجة بعرض متر وثمانين سنتيمترًا. اما النافذة التي تعلو المذبح الكبير فمرسوم على زجاجها سلطانة السماوات والارض حاملة الطفل الالهي على ذراعيها قابضة يمينها على الصليب تسحق بهِ رأس الحيَّة الجهنَّميَّة وتحت الرسم ايقونة تمثل ظهور العذراء المجيدة لكاترين لابوره (Labouré) احدى راهبات المحبة مسلمة اياها الايقونة العجائبيَّة المثبتة في العالم كلهِ المثبتة بسلطان الكرسي الرسولي. وعن يمينها في النافذة الثانية رسم القديس يوسف شفيع المدرسة وبجانبهِ الطفل يسوع واقفًا وبالقرب منهُ في النافذة الثالثة رسم القديس الفونس ليكوري شفيع الاب سلياج المعتني بتشييد هذه الكنيسة وعن يسار رسم البتول نافذة مرسوم في زجاجها القديس منصور دي پول حاملًا طفلًا لقيطاً والى جانبهِ في النافذة التالية رسم الطوباوي الشهيد يوحنا جبرائيل پربوار اللعازري متأملًا بصليب يسوع اما النوافذ الثانية المزدوجة الموجودة في صحن الكنيسة فتمثل اسرار الوردية المقدسة الخمسة عشر مختتمة بظهور مريم العذراء للقديس عبد الاحد مقدمة لهُ المسبحة وكلها في غاية الظرف تشهد على براعة صانعها وحذق معمل لو بان (Lobin) الموجود في تور (Tours). اما المذابح الصغار فكلها من الرخام النقي النظيف المزخرف ثلاثة منها عن يسار الهيكل الكبير للقديس منصور دي پول والقديس انطونيوس البادوي وللشهيد كوسيليوس الذي تكلّمنا عنهُ سابقاً. وعن اليمين ثلاثة اخرى للقديس يوسف والطوباوي پربوار والام الحزينة سيدة اخوية النصر المقامة في مدرستنا سنة ١٨٥٠ كما سلف القول وعلى موازاة مائدة المناولة يوجد عن اليمين تمثال للبتول الطاهرة نكرمهُ بنوع خاص في شهر ايار. وعن اليسار تمثال القلب الالهي اما السكرستيا فهي الى جهة الغرب وبالقرب منها منبر الخطابة

المعلّمون رسمياً من الصف الاول الذي تُعلّم فيهِ قواعد الخطابة والبيان والشعر الى الصف الابتدائي الذي تُعلم فيهِ القراءة والكتابة

وقد خرج من هذه المدرسة عدد كبير من مشاهير الرجال ديناً ودنيا كاساقفة افاضل وكهنة غيورين يشتغلون بكرم الرب وقد اشتهر من بين العوام من نخصّ بينهم بالذكر :

١ (من ذوي المناصب الرفيعة) دولتلو سليم باشا ملحمة ناظر المعادن والغابات واخوتهُ الاربعة صاحبا السعادة فيليب افندي احد اعضاء شورى الدولة وحبيب افندي قوميسير الدولة العلية في بلغارية ثم اسكندر وحبيب من مستشاري ادارة حصر التنباك = سعادتلو اميل بك فرج الله قنصل الدولة العلية في لندرة = سعادتلو امين ارسلان قنصلها في بردو = سعادتلو لطفي بك سفيرها في طهران وقنصلها في لندرة سابقاً = ثم القناصل الفرنسويون المرحوم الفونس كيس (في الشام) والمرحوم الفونس دورينلو (في صيداء) وادولف جوفروا (في اللاذقية) ومار يوس جوفروا (في مرسين) = ثم المرحوم المسيو الفونس جوفروا قنصل النمسا في اللاذقية

٢ (من منصبي الحكومة السنية في لبنان) سعادتلو اسكندر بك التويني مدير الشؤون الاجنبية وترجمان اول = المرحوم عزتلو الامير افندي شهاب نائب رئيس مجلس الادارة = وميرا آلاي الجند اللبناني ملحم بك ابي شقرا والمرحوم سيد سعد الدين شهاب = ورؤساء دائرة الحقوق الاستئنافية الامير نجيب جهجاه شهاب والمرحومان الامير نصوح شهاب وبطرس بك كرم = وناظر شركة حصر التنباك غطّاس افندي اللكّي = والمرحوم امين بك طربيه عضو مجلس الادارة

٣ (من ذوي المناصب المختلفة) عبد الله بك صفير رئيس البوليس السري في القاهرة = فريد بك بابازغلي رئيس مكتب وزارة المالية في الاسكندريَّة = وبليام بك زازل ماسك قلم ادارة دنقلة في السودان = اسكندر بك عمّون رئيس المحكمة الاهلية في القاهرة = قرنسوا افندي دياب وكيل عدَّة شركات فيها = ومديرا البنك العثماني عبد الله افندي غرّة فيها . وغالب افندي شاول في دمشق

٤ (من قائمي مقام ومديرين في متصرّفية لبنان) اسعد بك كرم قائمقام في قضاء كسروان = سليم بك عمّون (في البترون) = نسيب بك جنبلاط (في الشوف سابقاً) = الشيخ يوسف فرنسيس الخازن مدير ناحية الجرود في كسروان = الشيخ حبيب البيطار مدير ناحية غوسطا

٥ (من تراجمين القنصليات المختلفة) المرحوم ميخائيل افندي مدور والمرحوم الياس بك حالين وبروسبر افندي بتينو وكلهم تراجمين اوَّلون لقنصلية فرنسا في ثغر بيروت = ثم اندراوس بك مدور وميخائيل افندي كميد ترجمانا قنصليتي انكلترة واليونان فيها = ومرتينوس افندي جلّاد ترجمان قنصلية فرنسا في يافا

٦ (من المهندسين) خليل افندي شدياق مهندس اول في متصرفية لبنان ورزق الله افندي عيناتي في بغداد

٧ْ (من وكلاء الدعاوي) بشاره افنـدي قشوع وداود افندي نقّاش في بيروت وخليل افندي بولاد في الاسكندريَّة

٨ًً (من نطس الاطبـاء) الدكاترة الافنديَّة: شاكر الخوري وملحم فارس وميشال مدوَّر واخواهُ سليم والياس وامين جميّل ويوسف الجاماتي طبيب مدرستنا حاليًّا والشيخ سمعان الخازن وحبيب طبجي المراغي والشيخ منصور الخازن وقسطنطين نصر وغيرهم كثيرون يضاف اليهم من الصيادلة الافنديَّان اسكندر الحلو ويوسف جميّل

٩ً (من الصحفيين والكتبة) الافندية خليـل غانم احد محرّري جريدة «الديبا» سابقًا ومدير جريدة «الفرانس انترنسيونال» حاليًّا = وراجي صيقلي استاذ السلطان مراد سابقًا بالفرنسية = حقي بك احد اساتذة المكتب الشاهاني = وغيرهم كثيرون كالافندية خليل باخوس وشكري غانم واسكندر شاهوب ومنصور الجاماتي

واذا أُضيف الى هؤلاء عدد وافر من الاعيـان كلاون بك الحويك شقيق غبطة السيد البطريرك الياس بطرس الحويك وانطون افندي شيحا والمرحوم عبد الله خضرا واخيهِ رزق الله افنـدي وجدتَ ما نفعت بهِ مدرسة عين طورا الدين والوطن لا زالت راقيةً في معارج الفلاح. والسلام

رأي في توليد الانتيتوكسين

للدكتور حبيب افندي الدرعوني

من المعلوم ان الميكروبات تولد موادّ سمّيَّة يسمونها توكسينًا (toxine) وهي التي تحدث في الجسم الاعراض التسمّمية الخاصَّة بكلّ جنس من الميكروب. ومعلومٌ ايضًا ان الطبيعة كلما وُجد سمٌّ في الجسم اوجدت لهُ ترياقًا يسمُّونهُ انتيتوكسينًا (antitoxine) او بعبارة اخرى كل توكسين لهُ انتيتوكسين يقاومهُ ويضادُّهُ ولا ريب عندي ان الاقدمين قد ادركوا ذلك السرّ الطبيعي بحذقهم ودقّة ملاحظاتهم للاشياء ولو فاتتهم حقيقتهُ الجوهريَّة وان ما كانوا يعبّرون عنهُ بالطبيعة المطبّبة (natura medicatrix) ينطبق كل الانطباق على الانتيتوكسين

وقد تقرَّر ان الانتيتكاسين تجعل في الجسم مناعةً ضدَّ الامراض والدم الذي خُصَّ بهذه المناعة اذا استُقطر مصلهُ وحُقن بهِ مصاب بنفس المرض شفاهُ او اذا كان سليمًا وقاه. فذلك الامر الغريب الذي يدلُّ على الحكمة الالهيَّة في تدبيرها ووفرة اسرارها الطبيعيَّة التي نجهل كثيرها قد حدا بالعلماء للتحرّي على ذلك من وجوهٍ متعدّدة. ومن جملة المباحث التي اتوا عليها هذه المسئلة: لماذا السموم الكيماويَّة المعروفة واخصها التي يألفها

الجسم لا تولّد انتيتوكسيناً كما تفعل سموم الميكروب فهل من فرقٍ جوهريّ بين هذين السمّين السم الميكروبيّ والسم الكيماويّ ? ولمّا لاحظ جماعة العلماء ان الانتيتوكسين الفلانيّ لا يقاوم الّا توكسيناً معلوماً وُجد من اجلهِ دون غيرهِ حكموا ان بينهما علاقة وان الانتيتوكسين ليس الّا فرعاً من ذات التوكسين او من متولّداته . وقد شاع هذا الرأي بين العلماء شيوعاً عظيماً وجاهر بهِ « بوخنر » نفسهُ في مؤتمر اطباء الالمان المعقود مؤخرًا في مونيخ

على انَّ من انعم النظر في الامر قضى بان ذلك الرأي لا يحلّ عقد المسئلة ولا يفي بشرح غوامضها . واولًا ان هذا الرأي لا ينطبق على ما نعلم من عدم التناسب بين كميّة التوكسين وكميّة الانتيتوكسين . مثال ذلك انّك اذا ادخلت في الجسم قدرًا يسيرًا من التوكسين حصلت مقابلهُ لهُ من الانتيتوكسين على قدرٍ عظيم يفوق بمئة الف مرّة او يزيد كميّة التوكسين . فبُعد التناسب بين هاتين الكميّتين ينفي صحّة ذلك الرأي كما ينفيهِ الفرق الظاهر بين المناعة الفاعلة والمناعة المفعولة . فبينما الاولى تدوم سنين طوالًا وتجعل الجسم ممنّعاً مدةً مديدة ترى المفعولة وهي التي تحصل بادخال الانتيتكاسين في الجسم (كما في الحقن بمصل الدفتيريا) تزول سريعاً ولا يدوم فعلها الّا زمناً قصيرًا . فلو لم تكن الانتيتكاسين سوى شيء من متولّدات التكاسين لما حصل الفرق بين هاتين المناعتين بل يدلُّ ذلك الفرق ان المناعة الفاعلة ناتجة عن عمل خصوصي يعملهُ الجسم فيفرز الانتيتكاسين كلما دثرت ويدوم فعلهُ مدةً طويلة . بخلاف المناعة المفعولة فانها تزول على اثر زوال الانتيتكاسين التي أُدخلت في الجسم بعد الحصول عليها من غيرهِ .

وزد على ما تقدَّم وجود بعض الانتيتكاسين كانتيتوكسين الدفتيريا في دم حيوانات سليمة من هذا المرض او أُصيبت بهِ من زمان طويل . فلو كان التوكسين يولّد الانتيتوكسين كيف يأتي هذا من حيث لا يوجد ذاك ? اذًا ينتج ممّا ذُكر ان الانتيتكاسين ليست الّا افرازًا طبيعياً غير غريب عن الجسم بل حاصلًا منهُ ومفرزًا من خلايا انسجتهِ كما تؤيدهُ امتحانات « رو » و « ڤاليار » التي يجرونها على هذا المنوال :

يؤخذ حيوانٌ في دمهِ قدرٌ معلوم من الانتيتوكسين ثمَّ يُفصد ذلك الحيوان تباعاً الى ان ينفد معظم دمهِ فما يعتم الامر حتى يرجع الانتيتوكسين الى قدرهِ الاصلي . فلو كان الانتيتوكسين متولدًا من التوكسين لكان نفد بنفاد الدم لا محالة غير ان رجوعهُ بكميّة

كثيرة دلالة على انَّ منبعهُ من الجسم نفسهِ. ومما يدعم هذا المقال تجارب « سالومسن » و « مادسن » التي بموجبها يزيد افراز الانتيتكاسين اذا أُدخلت في الجسم موادّ تهيّج افراز الحويصلات كما يفعل البيلوكربين

قلنا اذًا ان الانتيتكاسين تتكوَّن من الحويصلات ولكن كيف يمكن شرح الالفة الموجودة بينها وبين التكاسين؟ تلك المسئلة التي اجتهد « أهرليك » في حلّها وقد اجاد واصاب حيث قال:

لكل حويصلة عنصرٌ اولٌ هو ركن تكوينها يُدعى « بروتوبلاسما » وفي كل بروتوبلاسما توجد عناصر من دأبها ان تجذب لها الموادّ المغذية السائرة في الدم فتخزنها وتتحد بها اتحادًا تامًا فقد شوهد مثلًا ان السكَّر موجودٌ في البرتوبلاسما ليس محلولًا فيه بل متحدًا اتحادًا لا تفصلهُ عنهُ الَّا الحوامض الكياوية. وعلى هذا المنوال يجدر بنا ان نفترض في ذلك العنصر الاصلي وجود عناصر أُخرى من دأبها اجتذاب التكاسين الموجودة في الدم وقد سُمّيت تلك العناصر بالسلاسل الجنبيَّة (على مقتضى مصطلحات الكيميا) فتلك السلاسل تلتهم التكاسين وتصبح من ثمَّ معطَّلة اي غير صالحة للقيام باعمالها الطبيعيَّة فلا تعود تجتذب الموادّ الغذائية لان التكاسين متى علقت بها تلازمها مدةً طويلة كما ظهر الامر بالابحاث والتجارب

وقد لا يتمّ لها استئناف اعمالها الَّا اذا تجدَّدت سلاسلها الجنبيَّة. ولمَّا كانت الطبيعة سخيَّة في عطائها وتردّ المفقود أضعافًا جريًا على ناموس « فديكرت » تراها تعوّض عن السلاسل المعطلة بزيادة عظيمة عن عددها الاصلي. فاذا تمَّ ذلك فأُشبعت تلك السلاسل الجديدة بالتكاسين (كما يفعلون في التمنيع عن الدفتيريا والتانوس بالحقن التتالي) تتعطَّل بدورها ثم يخلفها سلاسل جديدة غيرها . ويستمرّ التعطيل والتجديد على هذا المنوال حتى يتناهى عدد السلاسل في الحويصلة الواحدة ويثقل عليها فتضطرّ لنزع بعضها ودفعها الى الدم فتسير فيه سائبةً فتكون هي هي التكاسين بعينها. وقد تستمرّ بحالة انفصالها على نفس العمل الذي كانت تعملهُ حين كانت تعلق باصلها اي انها تلتهم التكاسين التي تألفها من طبعها حيثما صادفتها في مجاري الدم

ذلك نظرٌ يعلل عن مظاهر عديدة كانت الى اليوم غير مدركة وتكشف غطاء الغرابة والاستعجاب عن مفاعيل التكاسين والانتيتكاسين كما سنعرضهُ ان شاء الله

الزلازل

بقلم الاديب عبد الله افندي رزق الله شار احد مأموري معية ولاية بيروت الجليلة (تتمة لما سبق)

سرعتها

تتقدر سرعة انتشار الاهتزازات بما يمضي على الهزة الواحدة من الزمن في المحال البعيدة. على ان المقياس المذكور كما لا يخفى ضعيف الحجة واهي الدلالة لما يحول دون تدقيق الراصدين من الصعوبة في معرفة آن وقوع هذا الحادث الفجائي والتمييز بين هزاته المتوالية. لان من النادر حدوث هزة واحدة في الزلزال انما تتوالى الهزات في مدات قصيرة. ومع هذا فقد تبين من المراقبات العديدة ان سرعة الاهتزاز تتراوح بين مئة والف متر في الثانية بالنسبة الى شدة الصدمة الاولى وانما تتباطأ كلما ابتعدت عن مركز الحركة. وقد وُجدت سرعة زلزلة لشبونة ٣٠ كيلومترًا في الدقيقة

مدتها

تدوم الزلازل في الغالب ثانية او ثانيتين او كسور الثانية وقد تبقى اشهرًا او سنين. واطولها مدة زلزال بلاد قلفرية حيث اهتز سطح الارض تقريبًا كل يوم من سنة ١٧٨٣ حتى نهاية ١٧٨٦ وحسب بعض المدققين ٩٤٢ رجفة وقعت في ينيايتور للسنة الاولى فقط. وروى المؤرخون حدوث ٨٠ هزة سنة ١١٣٨ في سورية في ليلة واحدة

على ان اكثر الزلازل شدة ودمارًا ما يحدث منها على فور. فقد هلك في انطاكية سنة ٥٨٠ نحو ١٢٠٠٠٠ نفس في زلزلة واحدة. وفي سنة ١٧٥٥ اخرب الزلزال مدينة لشبونة واهلك من اهلها ٣٠ الف نفس في ظرف خمس دقائق. وفي سنة ١٨٨٣ كفت ست عشرة ثانية لهدم ١٢٠٠ بيت وقتل ٢٣٠٠ نفس في جزيرة إسكيا الايطالية. لكن من النادر تكرُّر الزلازل الكبيرة الشديدة في زمن قصير

سعتها

تتفاوت كثيرًا مساحة الارض المتزلزلة في العرض والطول. فالزلزال الذي اخرب نواحي قلفرية احاط ٤٠ او ٥٠ كيلومترًا فقط ولكن الذي هدم لشبونة عام ١٧٥٥ امتدَّ بين لابونية وجزيرة المرتينيك وبين غرونلانده ومراكش على نسبة ١/١٣ من سطح الارض تقريبًا. على ان هذه السعة تزيد وتنقص بالقياس الى مركز الزلزال في باطن الارض فبقدر عمقه يتسع نطاقه

اسبابها

لا مشاحة انَّ اسباب الزلازل وعرة على ملتمسها خفيَّة عن مستقريها يتجشَّم طالبها مشقَّة استخراج المجهول وحلّ المعمَّى

نعم اركض العلماء والحكماء رائد الفكر في عالم الطبيعة فجابوا قفار غوامضها وسبروا غور ابحارها . وحلَّقوا باعالي الفضاء فدوَّخوا اجرامه ليكشفوا بعض اسرارها . ولكن من اين لهم تحقيق ما يجري داخل الارض كالزلازل مثلًا وتدقيق نواميسها واسبابها

الَّا ان هذه الصعوبة لم تكُ لتحول دون دقة العالم ومضاء عزيمته . والانسان فطرةً مولع بتفتيش الزوايا وكشف الخبايا جزًا للمغانم ودفعًا للمغارم . والزلازل وايم الحقّ من اشدّ الرزايا . فوضع الجيولوجيون بعد التنقيب والاستقراء بعض نظريَّات لم تزل في دائرة الحدس والتخمين نوردها توصُّلًا الى معرفة شيء من اسبابها :

(النظريَّة الاولى) قالوا انَّ في باطن الارض كتلة عظيمة مائعة تتكوَّن منها الابخرة والغازات فتتحرَّى منفذًا لتخرج منهُ فتصدم الارض وتزعزعها حتى اذا وجدت ذلك المنفذ بطلت الزلزلة وسكنت الحركة

على انَّ هذا الامر ممكن الوقوع في الاراضي البركانيَّة لا غير . واما قول هومبولد « ان البراكين مصاريع الأمنيَّة » (soupapes de sûreté) فلا يصدق الَّا على الاراضي المذكورة

نعم لا نكير انَّ للبخار قوَّة عجيبة . فلنا منها كلّ يوم شاهد صادق . وانَّما يستحيل نسبة اسباب كل الزلازل الى فعل البراكين . فقد يحدث زلزال ولا ينفجر بركان وبالعكس كما بيَّنا سابقًا

(النظريَّة الثانية) اسند بعض الجيولوجيين اسباب الزلازل الى انهدام يحدث في المغاور الحاصلة من تأثيرات المياه الجارية داخل الارض . انَّما يتوقَّف وقوعها على وجود اراضٍ تنفذها المياه بسهولة كالغضار والملح وما شاكل ذلك . وعليه فالزلازل المذكورة محليَّة ودائرتها بالطبع محدودة ايضًا

(النظريَّة الثالثة) تتشكل الاحجار اساسًا على طريقتين : الاولى من الحمم والموادّ التي تقذفها البراكين فتدعى احجار بركانيَّة . والثانية من رسوب المياه فتُسمَّى رواسب

ومن المعلوم انَّ المياه الجارية تفتّت مع كرور الزمان الاحجار التي تصادفها في طريقها وتحملها الى حيث تخفّ سرعتها فتبقى هنالك وتزداد وتتراكم شيئاً فشيئاً الى ان تصير رابيةً فأكمةً فجبلاً حتى انَّ ما شوهد في بعض الجبال من الاسماك المتحجرة ترسب على الطريقة المذكورة حيث كانت الارض منخفضةً فارتفعت وعليها تلك الاسماك فماتت فتحجّرت

على انَّ الاراضي الراسبة بمكان عظيم من الاهمية في الزلازل البنائية. فان البحر كما لا يخفى يدفع دائماً الى البرّ اوحالاً ترسب طبقةً افقيةً موازيةً له كما في سواحل شمالي المانية وصحاري السودان وبعض مفاوز روسيّة حيث تشاهد هذه الطبقات من شقوق تلك الاراضي. ألا انها تتباين في اللون والنسيج فضلاً عن اختلاف وضعيّتها في جميع انحاء الكرة لارتفاع بعضها في جهات وانحطاط غيرها في اخرى

فكثيراً ما يُشاهد عقيب زلزلة هذا الاختلاف في محلّ واحد فيرتفع من جهة وينحطّ من اخرى (كما ترى في الشكل ١) فبينما كنت ترى سهلاً تنظر بعد حين هنا حفرة جسيمة وهناك رابيةً او جبلاً

وقد تختلّ كثيراً افقيّة هذه الطبقات (كما في الشكل ٢) فتفقد موازنتها وبالنتيجة مواضعها فتتزلزل وتترقّص حتى تثبت في مكانٍ آخر. وقد دعا ذلك المدنون الالمانيون fall والفرنسويون faille. لكنَّ الروابط بينها ضعيفة تزول غالباً بواسطة المياه فاذا انحلّت تتزعزع الطبقات المذكورة كما في السابق حتى تعود فتستقرّ برابطة غيرها وهلمّ جرّاً. واختلاف موازنة الطبقات مشهور عند المعدّنين فكثيراً ما اخفق مساعيهم في استخراج المعادن. فلو كان الخط الاسود في (الشكل ٢) طبقة معدنيّة لتكلّف المعدنون في استخراجها كلها شيب الغراب

(النظريّة الرابعة) غنيٌّ عن البيان انَّ الكرة الارضيّة تخسر كلّ آنٍ شيئاً من حرارتها وتتبرّد يوماً فيوماً فيصغر بالطبع حجمها ونظراً لصلابتها تتقبّض وتتقلّص طبقاتها بعنفٍ تقدّماً الى المركز فتختلّ موازنتها فتتزلزل كقطعة خشبٍ اذا اردنا كسرها على ركبتنا بشدّةٍ وعنفٍ تكسّرت وتطاير منها بعض القطع بنسبة مقدار صقالتها وخشونتها. كذلك الطبقات الارضيّة يكثر الزلزال في معتلّها ويقلّ في صحيحها. وهذه النظريّة تعضد قول بعض الجيولوجيين بانَّ دائرة الزلازل تميل قليلاً او كثيراً الى خط الاستواء

(النظريَّة الخامسة) وضعها احد الجيولوجيين المسيو پرّي (Perrey) وسعى باثباتها المسيو فالب (Falbe) قالا: انَّ للاجرام الفلكيَّة وخصوصاً القمر قوَّة جاذبة تجزر وتمدّ في اوقات معيَّنة المائع الناري الموجود داخل الارض فينسحب حيناً ثمَّ يعود بشدةٍ الى الارض الصلبة فيصدمها فيكون الزلزال

لكن فاتهما انَّ متوسّط الجزر والمدّ وبعبارةٍ اخرى ارتفاع مياه البحار وانحطاطها ٧٠ او ٧٥ ومعظمها ٨٠ سنتيمترًا. وهذان الجزر والمدّ لا يحدثان في كل بحار الكرة واذا وقعا فجزئيَّان. وعليهِ فكيف تؤثر الاجرام المذكورة في مانع ضمن ارض صلبة يبلغ ثخنها ٧٠ او ٨٠ كيلومترًا فضلًا عن ان المائع الآنف الذكر خاثر لزج صعب التحليل والتحريك

نعم لا ننكر انَّ للقمر ولسائر الاجرام الفلكيَّة تأثيرًا على سطح الارض. لكنَّ هذه الجاذبيَّة قد تكون سببًا لتحرُّك الطبقات الضعيفة الرابطة والمختلَّة الوضع لا كما ادَّعى فالب وزميله. ولذا انكر عليهما مشاهير العلماء هذه النظريَّة السفسطيَّة

وقد اسند بعض الجيولوجيين الارتفاعات والانحطاطات الارضية مطلقًا الى فعل الكرة الناريَّة الداخلية وقدَّروا قطر هذه الكتلة ٩٦ سنتيمترًا بالنسبة الى كرة قطرها متر واحد. فيكون ثخن القشرة الارضيَّة ٤ سنتيمترات. نعم ان للكرة الناريَّة قوة مدهشة ولكن النظريَّات التي بسطناها عن اسباب الزلازل تمنعنا من اسناد كل الارتفاعات والانحطاطات الارضية الى فعل هذه الكرة المركزيَّة

وتفكهةً لخواطر القراء نروي لهم نظريَّةً غريبةً في بابها سمعناها من بعض الجهلة قالوا: « ان الارض مركوزة على قرن ثور والثور قائم على سمكة وهذه على البحر . فكلَّما تعب الثور من حملهِ الثقيل ينقلهُ الى قرنهِ الآخر فتتزلزل الارض » !!

ليت هذا الثور يركز الارض على قرنيهِ معاً فيريحنا من بلاء الزلازل ومصائبها !

مواضع الزلازل

قلنا سابقًا ان ليس في الارض تقريبًا نقطة لم تتحرك. الَّا انَّ هذا القول عمومي وحقيقتهُ ان الزلازل موزَّعة في الارض بصورة غير متساوية. فاذا اشرنا الى مواضع الزلازل في كرة مسطَّحة نرى بعض الجهات تتمتَّع براحة كاملة بينما غيرها تكون دائمًا هدفًا لهذه النوازل الهائلة. ففرنسة مثلًا ما عدا جبال الالپ والپيرنه هادئة ساكنة تنحصر

نتائج زلازلها الخفيفة في تحريك الاجراس الصغيرة والمفروشات البيتيّة والجدران الخشبيّة. وكذا بلجكة وهولاندة وشمالي المانية وبعض جهات روسيّة فان طبقاتها حتى الآن لم تزل محافظةً على افقيّتها

امَّا الاراضي البركانيّة وخصوصًا الجهات التي اختلّت فيها افقيّة الطبقات فتكون على الاكثر محطّ هذه النوازل الدهماء وميدانها

وفي سوريّة وفلسطين كثير من آثار البراكين القديمة. فليس جبل حوران مثلًا سوى مخروطات تشكّلت من الحمم التي قذفتها تلك البراكين كما ان وادي الاردن وغور بحر لوط شاهدان ناطقان مع التوراة بما جرى هنالك في سالف الزمن من الانقلابات الارضيّة الهائلة

ذكر استرابون الجغرافي الشهير ما شاهد في بحيرة لوط وأطرافها من الافعال الناريّة والآثار البركانيّة قال: «... وفي أطراف البحيرة المذكورة كثير من اخربة القرى والمساكن. واخبرني الاهالي انهُ كان حوالي سدوم ثلاث عشرة مدينة لم يبقَ منها الآن اثر سوى اخربة سدوم. ذلك ان الموادّ الناريّة والمياه الحارّة الكبريتيّة والقطرانية غمرت عقيب بعض الزلازل الكبيرة قسمًا من المساكن فلم تترك لها اثرًا وفرّ سكّان القسم الثاني فأمسى خرابًا يبابًا ...»

نتائجها

من البديهي ان ليس للزلزلة كبير اهميّة بالقياس الى مجموع الكرة الارضيّة لكنّها والحق يُقال بمكان عظيم من الاهميّة بالنسبة الى محلّ ظهورها كما علمنا ممّا سبق. فانها اشدّ الاحداث التي تُعدّل سطح الارض وتُسفر عن تحوُّرات مهمّة فيها. فقد تتمايل الابنية آنئذٍ كالشارب الثمل وتتداعى وتسقط. وفي طرفة عين تتغيّر مدينة عظيمة من حالٍ الى حال. فبينا تراها عامرة زاهرة تشاهدها بعد هُنَيهةٍ خرابًا يبابًا وتحت ردمها الوف من الجثث المشوَّهة

وكثيرًا ما تنفتح الارض وتنطبق على كل ما يكون فوق سطحها كما جرى ذلك في زلزال لشبونة حيث ساخت الارض وابتلعت في الحال رصيفًا عليهِ الوفٌ من الاهالي الذين لجأوا اليهِ ابّان الزلزلة وعددًا وافرًا من المراكب الصغيرة. وشوهد في قلفرية عام ١٧٨٣ شقوق في الارض طولها ثلاثون كيلومترًا ونيف وعرض بعضها ١٥٠ مترًا

ابتلعت كثيرًا من المنازل والاشجار والناس ثمَّ قذفت بعضهم الى الخارج مع سيول جارفة

وقد تختلف احيانًا النتائج باختلاف نوع الزلزلة . على ان هذه النتائج كثيرة لا يحصيها قلم واهمها التحورات الارضيَّة العظيمة التي حدثت عقيب الزلازل الكبيرة . فقد ذهب بعض الجيولوجيين ان جزيرتي صقلية وقبرص فصلتا الاولى عن ايطالية والثانية عن سوريَّة بواسطة الزلازل . كذلك بحر المانش فانَّهُ نتيجة زلزلة او زلازل عظيمة فرَّقت بين فرنسة وانكلترة كما ترى في الشكل (٣)

وكثيرًا ما فكَّرت في هذا الامر الجلل اوقات تنزُّهي في مضيق (بوسفور) الآستانة المشهور فانهُ في الغالب نتيجة زلزال شديد يدلّ عليهِ تناسب رؤوس ضفتيهِ مع اخوارها وتجانس تركيب صخورها

وقد تنخسف الارض وترتفع وتدوم احيانًا دهرًا طويلًا وتعود تارةً الى وضعيَّتها الاولى كما يتبيَّن ذلك من اعمدة هيكل سرابيس التي ذكرناها سابقًا

قال حضرة الاب هنري لامنس المدقّق في مجلة المشرق (١ : ٣٠٥) :« لا غروَ ان زلزالًا شديدًا أثَّر في صورة شواطئ فينيقية جمعاء . فانخسفت الارض في عدَّة امكنة وساخت خصوصًا في قيساريَّة وصور وصيداء وبيروت وجبيل والبترون . ولعلَّ ذلك هو السبب الذي يحول دون العلماء فيصدهم عن تعيين مدقَّق لموقع صور وصيداء قديمًا . وقد نالهما من صدمات الزلازل ما لم ينلهُ غيرهما . وفي كلّ هذه المدن ترى عند ركود البحر مآثر جليلة وبنايا عظيمة قد غطَّتها المياه منذ قرون عديدة . ولك ان تشاهد عند مصبّ نهر الكلب آثار مقالع قديمة تغمرها اليوم مياه البحر »

نعم لم يبقَ والحمد لله للزلازل ولسائر الاحداث الطبيعيَّة شدَّتها السابقة التي غيَّرت مرارًا في سالف الزمن سطح الكرة وقلبتهُ بطنًا لظهر . ألَّا انَّها لم تزل تدأب في تعديلهِ تحت صور كثيرة وقوَّات مختلفة

الآلات المشهورة لتدوين الهزات

قلنا في صدر هذه الرسالة ان من الهزَّات الارضيَّة ما لا يُشعر بها ألَّا بواسطة آلات دقيقة . فقد وجَّه علماء الهيئة في مراصد باريس وغرينيتش وكمبريج مراقب طويلة (télescopes) الى بعض الاجرام الثابتة في اعماق الخلاء . وعكسوا اشعتها على

سطوح من الزئبق فشاهدوا انحراف هذه الاشعَّة بعد حين مما يدلُّ على اهتزاز الارض

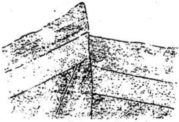
على ان لاكثر الآلات المذكورة رقَّاصاً في اسفله قلم يتحرَّك عند اقل حركة فيرسم اشارة حركته على ورقة تحتهُ. ولبعضها كآلة برتلي رقَّاص يمسّ عند وقوع الزلزال سطحاً من الزئبق فيحركهُ وهذا ينقل الحركة الى جرس كهربائي فيطن. ومقاييس المغناطيس ايضاً تدلّ على حدوث الزلزال كما ان البارومتر يهبط بغتة عند وقوعه والساعات العاديَّة ذات الرقَّاص تتوقَّف عن الحركة

الزلازل في سوريَّة وبيروت

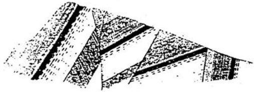
قسم حضرة الاب هنري لامنس في مقالتهِ السابق ذكرها الثغورَ الشاميَّة الى « خطَّين يتوازيان مدة ثم يجتمعان عند حلب على شكل زاوية محدَّدة. فيبدأ الخط الاول عند مجرى دجلة السفلي بقرب ديار بكر ثم يمرُّ بالرها (اورفة) ومنبج وحلب وانطاكية فاذا وصل اليها مال توًّا الى الجنوب فمرَّ بساحل البحر وانتهى الى عسقلان وغزَّة » كالزلزلة التي شعرنا بها في الخامس من كانون الثاني الماضي فانها عمَّت كلَّ سواحل سوريَّة

واما مبدأ الخط الثاني ففي « شمالي سوريَّة عند عينتاب منحدرًا انحدارًا مستقيماً نحو الجنوب ويقطع عند حلب الخطَّ الاول ثمَّ يجتاز في قلب الثغور الشاميَّة سائرًا في وسط وادي العاصي ووهاد بلاد البقاع الى غور الاردن... » وقال : « ... ومجمل ما راقبهُ العلماء من الزلازل في سوريَّة يبلغ بالعدَّة ١٢٣ زلزلة فاثنتان وستون منها كان معظم قوَّتها في ما توسَّط بين حلب وانطاكية... واماَّ بيروت فمن المقرَّر انها نالت من هذه المصائب حظَّها في كل زلزال... انما ادهشهُ ما دهم بيروت في السنة ٥٥١ »

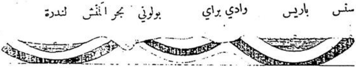
اماَّ اسباب الزلازل في سوريَّة فيمكن عطفها الى فعل البراكين وبعبارة اخرى الى الافعال الناريَّة تحت الارض في الخط الذي يجتاز قلب ثغورها سائرًا في وسط وادي العاصي ووهاد بلاد البقاع الى غور الاردن. انما يتعذَّر عطف السبب المذكور الى زلازل الخط الساحلي حيث لا بركان ولا امكان لانفجار البراكين فيه كما بيَّنَّا سابقاً. فتكون والحالة هذه زلازلهُ انهدامية وعلى الغالب في ظنّنا بنائيَّة تختلّ موازنة احدى طبقاته لسبب ما فتزعزع التي بجانبها وهلمَّ جرًّا حتى يهتزَّ كلُّ الساحل كما جرى ذلك في اكثر زلازلهِ وشاهدناهُ في الزلزلة الاخيرة



الشكل الاول



الشكل الثاني



الشكل الثالث توافق طبقات الارض على ضفَّتي بحر المَنش

ولعلَّ هذا هو السبب في حدوث اكثر زلازل سوريَة في فصل الشتاء على ما ذكرهُ حضرة الاب لامنس في مجلة المشرق (١: ٣٤٢) والبشير (عدد ١٤١٨) فانَّ السيول الجارفة آنئذٍ تخرق طبقات الارض ومغاورها فتزيل روابطها الضعيفة وتحلّل ترابها فتزعزع وتتزلزل. لكنَّ قولنا هذا يشمل الزلازل الانهداميَّة والبنائيَّة فقط اذ لا علاقة بين الامطار والبراكين (١

١) وفي ظنّنا ان سبب اعتقاد بعض عامتنا بقرب وقوع الزلزال عند سكون الرياح واشتداد الحرّ ناشئ عن عطف اسباب الزلازل مطلقاً الى فعل النيران والابخرة. لكن الرياح في الغالب تهبّ ابّان الزلازل وتُثير غباراً كثيفاً كما شاهدتُ ذلك في زلزلة الاستانة

وهنا نسأل حضرة الاب المشار اليه مقصده من قولهِ: « وربّما يشتدّ لظى النيران الداخليّة حتى تظهر مفاعيلهُ في الخطّين معًا اعني في الخطّ الساحليّ والخطّ الشرقيّ. المشرق ١: ٣٣٧ ». وفي ظنّنا ان حضرتهُ يشير الى عكس فعل زلازل الخطّ الشرقيّ البركانيّة في الخطّ الساحليّ لا الى فعل النيران فيهِ. ومع هذا فلا بُدّ من ان تكون مراجل الخطّ الشرقيّ الارضيّة في معظم الغليان حتى يعكس فعلها الى الساحل لان بينهما جبالًا تمنع انتشار الهزّات في الخطّين معًا على ما رأيناهُ في جبال الابنين في ايطالية وجبال الاند في اميركة. والنواميس الطبيعيّة في كل اين وآنٍ واحدة لا تتغيّر

وقال حضرتهُ ايضًا في البشير: « انّ الزلازل في سوريّة تبتدئ عادةً في الشمال الشرقيّ من حلب في نواحي روم قلعة وبيرهجيك قبل ان تصيب جهة سوريّة » كما أيدتهُ بعد مدة زلزلة خامس كانون الثاني الآنفة الذكر. ولعلّ السبب في ذلك كثرة اختلال موازنة الطبقات الارضية هنالك فاقلّ شيء يزيل روابطها الضعيفة فتتزلزل وتزعزع الطبقة التي بجانبها وهلمَّ جرًّا حتى يهتزّ كلّ الخطّ

ولاحظ حضرتهُ انّ بيروت « وان لم تكن بمأمن عن الزلازل تزداد يومًا فيومًا ثبوتًا وان وقوع مثل هذه الطوارئ يخفّ مع الايام تواردًا وضررًا » لكنّهُ يتوقّع خطرًا من « اتساعها وعلوّ طبقات منازلها وقلّة الاعتناء بتوثيق ابنيتها. اذا ما ألمّت بها يومًا نكبة الزلازل الشديدة » والعياذ باللّٰه وهو سبحانهُ الواقي المعين

دمشق واسماؤُها القديمة

للاب هنري لامنس اليسوعي

١

دمشق مدينة عاديّة خطيرة الشأن لا يخلو كتاب قديم من ذكرها. وقد ورد اسمها مرارًا في الاسفار الكريمة كما سُطّر في الكتابات المصريّة والاشوريّة قبل عهد الكتب المنزلة ومع تكرار هذا الاسم منذ القدم لا تكاد تجد في صُوَر كتاباتهِ العديدة اختلافًا يذكر كما سيأتي

فانّ العبرانيين يدعونها דמשק (دَمِّيق). وهو اسم لم يتفق العلماء على معناهُ (١.

١) راجع قاموس العلّامة جزنيوس (Thesaurus) في الصفحة ٣٤٥ من الجزء الاول. على

وقد ذُكرت دمشق في مكاتبات تل العمارنة على صورة « دِمَسقا » و « دِمَسقي ». وصورتها في المخطوطات المصريَّة « تينسقو » او « دِمَسقو ». والغالب في الكتابات الاشوريَّة « دِمَشقي او « دِمَّشقا » بتشديد الميم او تخفيفها

امَّا الآراميون فقد احبوا ان يقحموا راء بين الحرفين الاوَّلين فقالوا דרמשק (درمسق) كما حُرّرت في الكتاب الاول من سفر الأيام (١٨ : ٦). وهذه صورتها في السريانيَّة باشباع ما قبل الآخر ܕܪܡܣܘܩ (درمسوق) وفي اللغة التلموديَّة باشباع الاول דורמסקין (دورمسقين)

ولدمشق ونواحيها في الكتابات الآشوريَّة اسمٌ آخر وهو « غاراميريشو » او بحذف الاول « اميريشو » و « اميريش » وفسَّروهُ « بقلعة الاموريين » واستنتجوا من هذا الاسم انَّ الاموريين ملكوا على دمشق ونواحيها. وقد زعم هوبت (Haupt) انَّ لدمشق اسماً ثالثاً غريباً في اللغة البابليَّة وهو « شاميري شو » وفسَّرهُ « بمدينة حميرها » ولعلَّ في ذلك كناية فكاهيَّة الى الاسم السابق

امَّا اليونان والرومان فانهم لم يختلفوا البتة في اسم دمشق فدعوها Δαμασκός Damascus (دَمَسقوس). على ان اسطفان البوزنطي ادَّعى ان اصل الكلمة باليونانيَّة Δαρμασκός (درمسقوس) مشتقَّة من لفظتين يونانيَّتين δέρμα و ἀσκός ومعنى كلتيهما الجلد والاديم. لكنَّ هذا الاشتقاق غريب في بابهِ لانَّ اسم دمشق ليس بيونانيّ ولعلَّ اسطفان البوزنطي كان يعرف صورة اسم دمشق الآراميَّة فظنَّها يونانيَّة

واذا استفتينا العرب وجدنا ان اسم دمشق القديم هو الشائع عندهم وإن اطلقوا على العاصمة اسم القطر كله فدعوها باسم الشام كما اطلقوا اسم مصر على مدينة القاهرة وهو اسم الصقع المصري. ولئلا يلتبس الاسم على القارئ قد جمع العرب بين الاسمين فقالوا دمشق الشام. قال ياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥٨٧). « سُمّيت بذلك لأنهم

انَّنا لا نرضى بتفسير هتزيغ (Hitzig, *ZDMG, VIII*, 222) الذي ارتأى انَّ اشتقاق دمشق من كلمة سنسكريتيَّة معناها « العين الحمراء ». وزعم غيرهُ انَّ معناها الارض الحمراء. وذلك لا يوافق الواقع لانَّ ارض دمشق وما حولها سوداء. والارجح عندنا ما رواهُ رتسلوب (Retslob) في المجلة الاسيويَّة الالمانية (ZDMG, XVI, 736) وهو ان دمشق لفظة آراميَّة مُماتة اصلها « مشق » يتقدَّمها د النسبة في هذه اللغات ومعناها الارض المزهرة والحديقة

دَمْشقوا في بنائها اي اسرعوا ».ولا حاجة الى تنبيه القرّاء على ما في هذا الاشتقاق من التعسُّف

ومما كتبهُ الشريف الادريسيّ (ed. Gildmeister p. 14) ما حرفهُ:« مدينة دمشق مُحدثة وانما كان بالقديم من مواضعها موضع يسمَّى الجابية وذلك في ايام الجاهليَّة وبُنيت دمشق عليها » وهذا القول يردُّهُ التاريخ الصادق ولعلَّ الادريسي رواهُ وهمًا باسم احد ابواب دمشق ذكرهُ بعيد ذلك. والصواب انَّ الجابية مدينة معروفة (١ لملوك غسَّان جعلوا فيها تخت ملكهم وموقعها بين دمشق والمزيريب على مسافة بعض اميال من المزيريب في شماليها الغربي. واسمها باقٍ حتى اليوم

٢

هذا وقد بقي اسم آخر زعم البعض انَّ دمشق عُرفت بها في سالف الزمان نعني بذلك « جلّق »

فاذا امعنَّا النظر في هذا الاسم وجدناهُ بعيدًا عن الاسماء السابق ذكرها بُعد الثريَّا عن الثرى. وقد رأينا انَّ بين تلك الاسماء شبهًا عظيمًا (اللهمَّ الَّا الاسم الاشوري امريشو) وان مرجع الاسم على اختلاف صورته عند الامم القديمة الى الحروف الاربعة « د م س ق » مع اختلاف بعض حركاتها واقحام الراء فيها. امَّا اسم « جلّق » فليس فيهِ من اسم دمشق غير حرفهِ الاخير

واذا بحثنا عن اصل اسم جلّق لا نجد في اشتقاقها ما يدلُّ على عاصمة الشام او على شيء من صفاتها قال ياقوت (٢: ١٠٤):« جلّق هي لفظة اعجميَّة ومن عرَّبها قال هو من جَلَقَ رأسهُ اذا حلقهُ » وقد ذكر ياقوت هذه الرواية دون ان يصادق عليها. فليس اذن في اشتقاق لفظة جلّق ما يُجيئنا الى القول بانها هي دمشق

وهل يا تُرى من نصّ صريح لقدماء الكتبة يزيل الابهام ويقضي بالامر فدعنا نستقري تآليف جغرافيي العرب: ولا شكَّ ان اوسعهم وصفًا لدمشق هو ياقوت في معجم البلدان لكنهُ في اثناء كلامهِ عن عاصمة الشام لا يشير الى تسميتها بجلّق(٢ وسكوتهُ

١) راجع معجم البلدان لياقوت (٢: ٣٠٢). واعلم انَّ الادريسيّ لم يدخل بلاد الشام

٢) وكذا قُل عن المقدسيّ واليعقوبيّ وابن الفقيه والمسعوديّ والاصطخريّ وابن حوقل وابن جبير الخ. ولا اثر لذكر جلّق في وصفهم لعاصمة الشام

هذا يكفي للدلالة على بطلان رأي من زعموا انَّ جلّق هي دمشق

هذا واذا تصفَّحنا في باب الجيم ما كتبهُ عن « جلّق » وجدنا فيهِ ما يؤيد رأينا بدلًا من ان يضعفهُ ودونك قولهُ :

« وهو (جلق) اسم لكورة الغوطة كلها وقيل بل هي دمشق نفسها وقيل جلق موضع بقرية من قرى دمشق وقيل صورة امرأة يجري الماء من فيها في قرية من قرى دمشق قال حسَّان بن ثابت :

لله درّ عصابة نادمتهم يومًا بجلّق في الزمان الاول »

أفلا يرى القارئ انَّ ياقوتًا يقدِّم الرأي الاصوب عندهُ على مألوف عادتهِ اعني انهُ يعتبر جلق كاسم لكورة الغوطة ثمَّ يذكر الاقوال المتضاربة التي وردت فيها تاركًا عهدتها على اصحابها . امَّا استشهادهُ بقول حسَّان فلا يدلُّ كما ترى على كون جلق هي دمشق بل على انَّ اسمها ورد في الشعر القديم (١

واذا طالعنا الجغرافيين الذين سبقوا عهد ياقوت وجدناهم كلهم يوافقون رأينا فان البكري في « معجم ما استعجم » (ص ٢٤٢) لا يزيد على ذكر جلق سوى قولهِ « موضع بالشام » وكلام الهمذاني في صفة جزيرة العرب اصرح فانهُ يذكر جلق في ديار جزيرة العرب . امَّا دمشق فانهُ ضرب الصفح عنها في كتابهِ لانها ليست في جزيرة العرب . وهذا قولهُ (ص١٧٩) : « وحسمى وصيداء وحارب وجلّق ديار غسَّان »

فكيف يسوغ بعد ذلك ان يقال انَّ جلّق هي دمشق وهل يبني العاقل حكمهُ على « قيل » دون بيّنة تنفي الشبهات

ولعلَّ قائلًا يقول انَّ الشعراء الاقدمين كحسان والنابغة الذبياني ذكروا جلق واطلقوا هذا الاسم على دمشق

نجيب على هذا الاعتراض : (اولًا) انَّ المعوَّل في تحديد البلدان وتعريف اوضاعها لا يؤخذ عادةً من الشعراء لانَّ الشعراء في قصائدهم يرخون لقريحتهم عنان المخيّلة فليس كلامهم حجة مقنعة . وكثيرًا ما تراهم يبدلون كلمة من اخرى ويأخذون العامَّ بدلًا من الخاص وغير ذلك من الجوازات الشعريَّة . وهكذا وهم المقتطف مؤخرًا اذ استند الى بيت من شعر ڤيرجيل ليبيّن « انَّ الاقدمين لم يعرفوا اللون الازرق » (كذا) . ولو اتانا الأخصام بنصٍّ قديم تاريخيّ لألقمونا الحجر

---

١) وفي كتاب مراصد الاطّلاع (١ : ٢٢١) وهو مختصر ياقوت قد ذكر رأي القائلين بان جلق هي دمشق في الاخير كانَّهُ لا يستحق ان يُعبأ بهِ

(ثانياً) هذا اذا افترضنا ان كلام الشعراء واضح لا يترك مجالاً للابهام. ولكن هيهات ان نجد في قصائدهم مثل ذلك. فانَّ حسان بن ثابت يقول في بيته السابق انَّهُ « نادم ملوك غسان في جلّق » فهل ينتج من ذلك ان جلّق هي دمشق ؟ ويقول النابغة في مديحهِ لبني غسّان:

لئن كان للقبرين قبرٌ بجلّقٍ وقبرٌ بصيداء التي عند حاربِ

فاين وجد المعترض انَّ النابغة اطلق في هذا البيت اسم جلّق على دمشق ؟

هذا ولا نجهل انَّ بعض الشعراء المحدثين ارادوا بجلّق عاصمة الشام نفسها. وانما ذلك هو من باب المجاز المرسل ليس الّا

وبقي اعتراض اخير اخذهُ اخصامنا من معاجم اللغويين كتاج العروس ولسان العرب. فجوابنا على هذا المشكل كجوابنا على السابق وهو انَّ اصحاب المعاجم لا يبتّون في ذلك حكماً وانما يثبتون كلَّ ما « قيل ». واذا وجدتَ منهم بعضهم يُوحدون بين دمشق وجلّق فذلك محض اختلاق لا سند لهُ في التآليف القديمة كما بيّنا. ولعلّهم عثروا على بيت شعرٍ حديث ورد فيهِ اسم جلّق مجازاً بمعنى دمشق فشرحوهُ على مقتضى الحال. وقد قلنا انَّ المعوَّل في هذه الامور على القدماء لاسيما المؤرخين والجغرافيين لا على بعض الشعراء المحدثين الذين لا تقوى اقوالهم على نقض براهيننا السابقة

واذا اضفنا الى هذه الادلة رأي المستشرقين وجدناهم لساناً واحداً في تأييد قولنا نخصُّ منهم بالذكر كوسين دي پرسڤال في « كتاب تاريخ العرب في الجاهليَّة » وسانتوينتي في شرحهِ على اسفار ابن بطوطة وتولدك في كتاب « تاريخ ملوك غسان »

ونختم هذه النبذة بشهادة كاتب شهير من اقدم مؤرخي الاسلام وهو حمزة الاصفهاني (١ فانَّهُ يقول في الباب السابع من تاريخهِ حيث سرد اخبار الغسانيين ما حرفهُ: « ولمَّا ملك جفنة قتل ملوك قضاعة . . . وبنى جلّق والقرية وعدَّة مصانع »

فهل يقول المعترض انَّ جفنة المذكور بنى دمشق ودمشق كانت قبلهُ بنحو ٣٠٠٠ سنة ؟. فان قنع بعد ذلك اخصامنا بقولنا فنعمت والّا فلا يبقى لنا الّا الهتاف: لا حول ولا قوّة الّا بالله. والعياذ بالله من المعاندين

---

١) راجع ص ١١٦ من طبعة بطرسبرج. واعلم انَّ حمزة عاش في القرن العاشر للمسيح. وشهادتهُ تُبطل قول كاتب آخر كتب بعدهُ بنحو ٤٠٠ سنة وهو شمس الدين الدمشقي الذي لا يوثق بهِ في تخطيط البلدان

الفتاة المفقودة

رواية تاريخيَّة عرَّبها بتصرُّف الاب لويس شيخو اليسوعي (تتمَّة)

٥

فما وقع نظر موريس على هذه الاسطر حتى طار قلبهُ شعاعاً وظنَّ انَّهُ قرأ فيها حكم موتهِ ومن ثمَّ كان فعلها في نفسه اسرع من شرارة النار في بعض مخازن البارود فصرخ صرخةً عظيمة وسقط متلاشي القوى لا يبدي حراكاً

مرَّت الساعات على المسكين وهو لاصق بالحضيض كأنَّهُ ميت ولم يفق من غشيتهِ الَّا في اصيل النهار فشعر بضعف لا يوصف وكان جسمهُ مبتلًّا بعرق بارد فلم يقوَ على النهوض ثمَّ حدَّق ببصرهِ الى سجنهِ فاذا بالهرّ الذي رآهُ في غلس ذلك اليوم رابض في قرنتهِ. فاحيا منظر هذا الحيوان الألوف ميتَ آمال موريس وشدَّد قواهُ فنهض اليهِ ليمسكهُ ويتخذهُ لهُ انيساً في وحدتهِ

لكن هذا الهرَّ كان وحشيًّا لا يمكّن منهُ احدًا فما احسَّ بحركة موريس حتى وثب الى الكوَّة وفرَّ هاربًا قبل ان يعهُ السجين

فبقي التعيس وحدهُ بازاء جثة الفتاة لا يجد حيلةً للخلاص ولا وسيلةً للنجاة

ثمَّ عاد الى الورقة التي قرأها صباحاً وتأمل تاريخها فاذا هو ٢٨ حزيران سنة ١٧١٥ وتذكَّر التاريخ الذي قرأهُ في الحديقة على الصليب الذي نصبتهُ امُّ الفتاة يوم فقدانها فكان ٢٥ حزيران فاستنتج من هذا الفرق انَّ لوسيًا دي براكنتال باتت في سجنها ثلاثة ايام تتضوَّر... حتى ماتت جوعاً

فاخذ موريس يفكر في نفسه ويرى ما ينتظرهُ بعدُ من الاوجاع والعذابات فقام يدور كالسبع في قفصهِ يطلب لهُ مناصاً حيث لا يُؤمَّل مناص

ثمَّ قبض الاسلحة المعلَّقة في الجدار وعالج بها باب سجنهِ لكنَّها تكسَّرت بين يديهِ لفعل الصدأ فيها. فصار يضرب بقطعها الباب ليُسمع لها صلصلةً ويشعر بهِ احدٌ من خارج. فما كان لفعلهِ من فائدة

فنصب ثانية اثاث الغرفة ونضَّد بعضها فوق بعض لعلهُ يدرك الكوَّة ويرى منها ما يحيط بالسرب فيمسكهُ بذلك ان يشعر الناس بمحلّ سكناهُ فذهبت كلُّ مساعيهِ ادراج الرياح

وفي تلك الساعة نفذ شعاع الشمس من كوَّته فنظر الى جثة لوسيا ورأى اسنانها المعرّاة من الجلد فخُيّل لهُ انها تقهقه وتسخر من كدّه الباطل. فزاده هذا المنظر حزنًا وهلعًا فانزوى الى ناحية وجلس مختبيًا ورأسهُ على ركبتيه فاستمرّ على ذلك زمنًا طويلًا وهو غائص في بحر الافكار التي كانت تتناوبهُ فتذيقهُ الموت الوانًا

وبلغ به يأسهُ الى ان قام وهو فاقد الرشد واخذ قطعة من الاسلحة التي القاها على الارض لينتحر ويتخلّص من هذه البلايا المحدقة به. الّا ان نظرهُ وقع على صليب الذهب المتعلّق في عنق الفتاة فتذكر تعاليم امّه الصالحة ومن وقتهِ القى عنهُ السلاح وجثا راكعًا يستميح من الله غفرانًا عن ذنبه ومسلمًا نفسهُ لارادته تعالى عملًا بما قرأ في رقعة لوسيا دي براكنتال

وكان في اثناء ذلك قد اجهدهُ العطش وتقلّصت شفتاهُ فاخذ يمصّ منديلهُ فلم يستخرج منهُ سوى نُقَيطات قليلة لم تكفِ لتنقع غلّتهُ فصبر وعمد الى آخر كسرةٍ من الخبز كان ابقاها في جيبه فاكلها بعد الجهد الجهيد ليبس ريقه

ثمّ جلس مسندًا ظهرهُ الى الجدار وكان يخاف ان يستولي عليه الكرى فينام نومًا لا يقظة لهُ بعدهُ الّا انّهُ لم يمكنهُ ان يردّ هجمات هذا العدوّ اللطيف فاستسلم اليه ونام نومًا مضطربًا وتلل عدّة ساعات على الحضيض تنتاب مخيّلتهُ الاحلام المزعجة

فلمّا تنفّس الصباح انتبه وكان اول فكرهِ انّهُ بلغ يومهُ الاخير لما احسّ من انحلال قواهُ. لكنهُ تسلّح باشارة المسيحي وجثا مصلّيًا امام صليب الذهب ومجدّدًا تقدمة نفسه الى الله ليصنع به ما يشاء

وما كاد يتمّ هذا العمل التقويّ حتى سمع خرخرة في سجنه فنظر واذا بالهرّ قد عاد الى مكانه المألوف وهو هذه المرَّة نائمٌ يغطّ في نومه

ففكّر موريس كيف يمكنهُ ان يتّخذ هذا الحيوان كوسيلة لنجاته من الورطة التي وقع فيها

فصلّى الى الله من صميم قلبه ليلهمهُ ما يفعل واذا بفكر عنّ لهُ اعتدّهُ المسكين كوحيٍ من الله

واذ رأى نفسهُ على رمقٍ اخذ يزحف بكلّ لطف وهدوّ الى جهة الهرّ بحيث لا يسمع لهُ همسًا. فلمّا بلغ قريبًا منهُ نزع صُدرتهُ ورماها عليه بكلّ خفّة

فاذ شعر السنُّور بهذا الغطاء همَّ بالفرار لكنَّ موريس القى بنفسهِ عليهِ وصدَّهُ بما بقي لديهِ من القوة . وكان الهرُّ يموء ويضطرب بين يديهِ ليفلت منهُ بيد انَّ القنوط زاد في قوة موريس فتمكَّن منهُ وضبطهُ تحت صدرهِ

ثمَّ اخرج منديلهُ من جيبهِ وربطهُ بذَنَب الحيوان ربطاً وثيقاً . وكان الهرُّ في اثناء ذلك يزيد شراسةً وقلقاً حتى انهُ خدش يدي موريس باظافرهِ فسال دمهُ لكنهُ لم يبالِ بالالم حتى أتمَّ ما باشر بهِ . ثمَّ ضبط الهرَّ الى طلوع النهار فسرَّح عنهُ

فخرج الهرُّ من الكوَّة كالبرق ناجياً بنفسهِ من يدي السجين وساحباً المنديل بذنبهِ

فلمَّا توارى خرَّ موريس ساجداً لله وشكرهُ من صميم القلب على نجاح عملهِ واعتدهُ الهاماً سمويًا منهُ عزَّ وجلَّ وجزاء على تسليم امرهِ لمشيئتهِ تعالى . وكان صراعهُ للهرّ قد انهك بقيَّة قواه فتمدَّد على الارض طريحاً ينتظر بفروغ الصبر نتيجة عملهِ

٦

وسائل يسأل وماذا جرى لرفقة موريس واهل القصر بعد غيبة صديقهم

حدّث عن حزنهم ولا حرج . فانهم اذ رأوا في مساء ذلك النهار المشئوم انَّ رفيقهم غاب عن العيان طلبوهُ في انحاء القصر طلبهم لليتيمة المفقودة ولم يدعوا حجرة الّا زاروها ولا زاوية الّا وتفقَّدوها

فلمَّا آيسوا من لقيانهِ ظنُّوا انهُ وقع هو ايضاً في الوادي المجاور للقصر كاوسيا دي براكنتال بعد ان تعدَّى الدرابزين الذي امرت السيدة بنصبهِ على حافة الهوَّة . وقضوا ليلتهم تلك في كدر لا يوصف ولم يمكن احداً منهم ان يذوق راحة الوسن

وعند الصباح استأذنوا التنقيش على الفتى الضائع وهبطوا الى الوادي رجاء أن يجدوا فيهِ بقايا موريس فيدفنوهُ باكرام . فكان تعبهم بلا جدوى ولم يجدوا لصديقهم اثرًا

ثمَّ ارسلوا واخبروا السيدة دي براكنتال بمصابهم فجدَّد هذا الخبر في قلبها اللوعة على موت فتاتها وبكت على موريس بكاء الام على وحيدها

واوعزت الى بعض اهل القرى ان: « اصعدوا الى قصري وأفرغوا كنانة الجهد لعلَّكم تُلفون الصبي حيًّا او ميتاً » فاجابوا الى امرها وقضوا صلب نهارهم في البحث عن الشريد فعادوا آيسين من وجدانهِ وهم يزعمون انَّ الجنَّ اختطفتهُ

فلمَّا رأى اصحاب موريس انَّ صديقهم فُقد ولم يبقَ لهُ امل لاكتشافهِ بكوهُ

بكاء مرًّا وعوّلوا ان يقيموا لهُ بقرب مشهد لوسيا دي براكنتال صليبًا يكتبون عليهِ اسمهُ مع تاريخ وفاتهِ المزعوم

وفي صباح اليوم التالي اجتمعوا لإتمام ما اعتمدوا عليهِ فقدموا باكرًا الى مكان الحديقة حيث نُصب ضريح لوسيا وهم يردّدون عبارات الاسف على فقد رفيقهم

فبينما هم على ذلك يقرنون موريس الوداع الاخير اذ خرج الهرّ من الكوَّة كما ذكرنا وفي ذنبهِ منديل السجين . فنظرهُ الحضور ولحظوا الجهة التي منها طفر . فتبع ابن الحاجب الحيوان المذنّب ولم يزل يسعى وراءهُ حتى ادركهُ

فلحقت بهِ الجماعة واستدارت حولهُ لترى ما الامر . فحلّوا المنديل وفحصوهُ فاذا عليهِ مرقوم « م . ر . » ليس الّا

فصرخ احد الشبّان : « موريس دي راباستين » . ابشروا اصدقائي انَّ رفيقنا حي وهذا منديلهُ هيّا بنا ندقق البحث عنهُ ولنسرع قبل ان تدركهُ المنيَّة

فما قال هذا الكلام حتى وثب الجميع الى حيث رأوا الهرَّ نافذًا

فاخذ بعضهم يراقبون عرصةً كثر فيها الردم وطالت الاعشاب كانت على جانب الحديقة يرمي اهل القصر عندها حطام الدار . فاذا بكوَّة زجاجيَّة نسجت عليها العناكب وعلتها الغبرة فنظروا منها فرأوا الغرفة التي كان فيها موريس وهو بين حي وميت

وكان الاخرون استعانوا بالحبال حتى وصلوا الى جهة جدار القصر المشرف على الوادي فنظروا الكوَّة المستطيلة التي منها وثب القط فتحقَّقوا ايضًا انَّ هنالك حجرة مجهولة وانَّ فيها الفتى الضائع

فتباشر الفريقان بما وجداهُ وتشاوروا في اقرب طريقة لانقاذ الفتى من مكروههِ وتنفيس كربتهِ . فكان رأي الجميع ان تُفتح الغرفة من كوَّتها العليا

فعمدوا من ساعتهم الى المعاول وانتزعوا زجاجة الكوة واقتلعوا بعض الحجارة ثمَّ ربطوا الحاجب بحبل وادلوهُ الى ذلك النَّفق الخفي فاخذ بين ذراعيهِ موريس وانتشلهُ من قبرهِ وصعد بهِ الى ساحة الدار

وكان نوع من السبات قد استولى في تلك الاثناء على حواسّ الفقيد فلم يكد يشعر بما جرى لهُ فاضجعوهُ على فراش وثير وتداركوهُ ببعض الادوية المنعشة صبّوا منها نقطًا في فمهِ حتى فتح عينيهِ بعد قليل ورأى حولهُ الاقارب والاصحاب يتهلّلون فرحًا

لنجاتهِ بعد ان استطار لُبهم روعاً لفقدهِ

ولمَّا عادت الى المسكين قواهُ قصَّ عليهم تفاصيل خبرهِ فتوجَّعوا لهُ واثنوا على جميل صبرهِ. ثمَّ جثوا جميعاً ساجدين وقدَّموا للربِّ الشكر على ما أنعم بهِ عليهم من خلاص الفتى الشريد

بعد ذلك اخبروا السيدة دي براكنتال بوجود جثة ابنتها فاسرعت الى القصر وهنَّأت موريس بنجاتهِ ثمَّ نزلت بسلَّم الى الغرفة حيث كانت كريمتها وهي لابسة ثياب عرسها فاذرفت عليها الدموع السخينة ووضعت بقاياها في تابوت واقامت جنازة حافلةً لراحة نفس ابنتها. وكانت استدعت لهذه الجنازة الكاهن الذي بارك اقترانها يوم عرسها واودعوها اللحد آسفين على غصن شبابها المنقصف

ثمَّ امرت السيدة بان تهدم تلك الحجرة المشؤومة لئلا يبقى لها اثر

فلمَّا حضر الفعلة اخذوا موريس كدليل يرشدهم الى الدهليز ومدخل السرب فتحوا الباب بلا عناء. لكنهُ انطبق من تلقاء ذاتهِ بعد اجتيازهم. فلمَّا سمع موريس صوت الباب تذكَّر ما حلَّ بهِ سابقاً فارتجف مرتعباً. فعاد الفعلة يريدون فتحهُ فلم يستطيعوا واضطروا ان يخرجوا من الكوة العليا ويعودوا الى الباب من الدهليز ففتحوهُ ثانيةً واقتلعوهُ فوجدوا رخامة كان البارون دي ادراي جعل تحتها ادوات واثقال وبكرات عديدة كانت تحرّك الباب وتقفلهُ بعد فتحهِ فاخرجوها وتعجبوا من حذق مهندسها

ثمَّ نُقضت جدران تلك الحجرة وأُقيم في مكانها معبدٌ جُعل في باحتهِ ضريح لوسيَّا بشكل اكرام. ثمَّ عادت امها وسكنت القصر بجوار قبر ابنتها الى آخر حياتها

مطبوعات شرقية جديدة

١ كتاب القلادة الذهبيَّة في التأملات الانجيليَّة (ص ٣٣٣)

٢ كشف الستار عن حريَّة الاختيار (ص ٨٧)

للخوري العالم الفاضل جرجس فرج صفير النائب البطريركي الماروني في الاسكندريَّة
طبعا بالمطبعة المصريَّة في الاسكندريَّة سنة ١٨٩٩

اهدانا حضرة الاب الفاضل الخوري جرجس فرج صفير صاحب التآليف الدينيَّة والفلسفيَّة الشهير نسخةً من هذين الكتابين الجديدين فتصفَّحناها فوجدنا الاول كتاباً

مفيدًا جدًا لغذاء النفوس المسيحيّة بالتعاليم والاعمال الربّانيّة جرى فيهِ مؤلفهُ على آثار الاب دوكسن (Duquesne) فوفّق بين الاناجيل الاربعة وقسّم التأملات تقسيمًا سهلًا رائقًا وزاد عليها من الشروح ما رآهُ يوافق اغراض العالمين والاكليريكيين والخطباء واللاهوتيين والجدليين معًا. وقد جعل عمادهُ في هذه الشروح على مصابيح كنيستي الشرق والغرب وفطاحل المفسرين الحدثين. وهذا المجلد الاول يحتوي ٣٠ تأملًا على اسرار حياة المسيح منذ البشارة بيوحنا السابق الى بدء كرازتهِ

امّا الكتاب الثاني فهو مبحث فلسفي عن حرّية اختيار الانسان بيّن فيهِ مؤلفهُ الفاضل اغمض ما جاء في الفلسفة من المطالب عن اصل الشرّ وبيان رداءة الافعال البشريّة وصدور الشرّ عن الارادة. وجعل ذلك على صورة محاورة تقرّبهُ الى فهم الجميع وتزيل الشك عن المدارك في امور كثرت فيها اعتراضات المعترضين على حكمتهِ تعالى وقد فنّدنا بعض هذه المشاكل غير مرّة في المشرق

فنثني على همّة صاحب هذين الكتابين ونطلب الى الله ان يجزل النفع بهما ويجازي كاتبها خير جزاء. ل. ش

شذرات

خميس الصعود او خميس الرشاش — جواب على اقتراح المشرق (٣: ٥٢٦): ان لعادة خميس الصعود المشهور عندنا بخميس الرشاش (والعامّة تقول خميس الرّشّيش) شهرةً منذ قديم الزمن. امّا سبب هذا الرشّ فلأفاضل بغداد من النصارى فيهِ آراء: فنهم من يقول ان المسيح لما صعد الى السماء كانت سحابةٌ قد حجبتهُ عن الانظار انحلّت ماءً بعد ذلك. وكما ان هذا الرأي لا يدعمهُ الانجيل ولا التقليد ولا احدٌ من المؤرخين الثقات فيُعدّ بمنزلة حديث خرافة او من قبيل الترّهات

ومنهم مَن يقول بان المسيح قبل صعودهِ الى السماء قال هذا الكلام الشهير: اذهبوا الى العالم أجمع وبشّروا بالانجيل للخليقة كلها فمن آمن «واعتمد» يخلص. ومَن لم يؤمن يُدن... ومن بعد ما كلّمهم الربّ يسوع ارتفع الى السماء (مرقس ١٦: ١٥ و ١٩). فيكون هذا الرشّ إشارة الى ذكر إقامة سنّة العماد الذي من أنواع منحهِ الرشّ. وهذا الرأي اصحّ من ذاك واقبلهُ للعقل. غير اني وان كنتُ أجلّهُ فلا استكفهِ

من ان اقرنهُ برأي آخر طبيعي وهو : ان الايام التي يقع فيها خميس الصعود هي من ايَّام بدء القيظ في هذه البلاد فيكون رشّ الناس بعضهم بعضاً اشارةً الى حينونة وقت الابتراد اي الاستحمام بالماء البارد. ويؤيد هذا الرأي عادة الارمن فانهم يرشُّ بعضهم بعضاً في عيد تجلي الرب وذلك لانَّ مجيء القيظ في انحاء الاناضول وشمالي الجزيرة يكون بعد مجيئهِ في العراق وجنوبي الجزيرة والسبب معروف. امَّا ان هذه العادة قديمة في بغداد فيؤيدها القزويني في كتابهِ عجائب المخلوقات في فصل شهور الروم اذ قال ما نصهُ بحرفهِ : « في الحادي عشر منهُ (اي من شهر حزيران) نوروز الخليفة ببغداد. وفيه اللعب ورش الماء وغيرهما ممَّا هو مشهور ». فاحفظ كلَّ ذلك حفظك الله من المهالك

الاب انستاس الكرملي

❁ اشتقاق لفظة فسقيَّة في العربيَّة ❁ قرأنا في ملحق مجلة الطبيب المعنون « الدنيا في باريس » لجناب الكاتب احمد بك زكي (ص ٨٠) ما نصهُ :

« فساقي جمع فسقيَّة وهي كلمة دخيلة على العربيَّة في هذه العصور الاخيرة مأخوذة عن كلمة فرنساويَّة فَسك (vasque) وأنكر ان الاب لامنس اليسوعي قال في كتاب الفروق انَّها مأخوذة عن (piscina) اي بركة السمك في الاصل. وهو خطأ ظاهر في التخريج والنقل واضح »

(نقول) ان كاتب هذه الاسطر هو المخطئ لانَّ كلمة « vasque » في الفرنسويَّة كلمة حديثة جدًّا لا تجدها لحداثة عهدها في جملة الالفاظ المثبتة في معجم الاكادمية الفرنسيَّة. فكيف امكن العرب ان يشتقُّوا لفظة دخلت في لغتهم منذ قرون عديدة من لفظة فرنسويَّة حديثة ؟ امَّا اشتقاق فسقيَّة من « piscina » فهو واضح يدلُّ عليه تشابه ثلاثة حروف في اللفظتين (وحرف p كما لا يخفى كثيرًا ما يعرَّب بحرف ف). امَّا معنى الكلمتين فيتوافق ايضًا لان « piscina » دلَّت في اللاتينيَّة اولًا على بركة السمك ثمَّ أُطلقت على كلّ صنف من الاحواض. هذا واننا نظنُّ انَّ العرب لم يأخذوا لفظة الفسقيَّة عن اللاتينيَّة توًّا وانَّما اشتقوها اولًا من السريانيَّة ܦܣܩܝܢ ثمَّ نقلها السريان عن اللاتين. وهذا هو رأي عظام المستشرقين كفرنيتاغ وفرنكل في كتابهِ (اصل الالفاظ الدخيلة في العربيَّة ص ١٢٤) وغيرهما كثيرين

هـ. ل

❊ ديرُ حَنُّوش ❊ كان صاحب المحبة اصلحهُ الله انكر علينا وجود هذا المكان على رأس الشقعة قريبًا من دير التوريَّة فاجبناهُ بما كشف لاعين القراء جهلهُ. واليوم قد ورد علينا كتاب من حضرة الاب نعمة الله الكفري يؤيد رأينا ويفيدنا ان هذا المحل كان سابقًا بلدة

تدعى كوشار لا يزال منها آثار قديمة و« عدبة » قرب عين هنالك عميقة. وا كثرها ارض تخص دير مار عبدا معاد. اما تغيير اسمها كوشار بحنّوش فيزعم البعض انَّ رجلًا من سكانها كان لهُ بقرة يحلبها ويُحسن بحليبها على المحتاجين فقيل ثمّ إنّه اي تحنن الانسان فعرّبت حنّوش وموقعها شمالي البترون على مسافة ساعة منها

☼ افادات وملاحظات على مقالتنا في تاريخ فنّ الطباعة في المشرق ☼ افادنا حضرة الاب الفاضل القسّ نعمة الله الكفريّ « انَّ مطبعة قزحيا المستحدثة (راجع المشرق ٣:٢٥٦) احضرها الرهبنة البلدية من رومية مع قوالبها (الأبّات والأمّهات) لاربعة اشكال من الاحرف السريانيَّة الجميلة وذلك عن يد الاب ساروفيم الشوشاني البيروتي المتوفى سنة ١٨١٤ فهذا كان أُرسل الى رومية لطبع الشيئيَّة بالحرف الكرشوني على نفقة الرهبنة وتمّ طبعها سنة ١٧٨٢ تحت مناظرة الاب سمعان خضير البيروتي معلم العبرانية في المدرسة الرومانية في عهد بيوس السادس. فلمَّا رجع من رومية احضر معهُ هذه المطبعة وجعلها اولاً في دير مار موسى الحبشي المعروف بالدوار فطُبع فيها بعض كتب منها خدمة القداس سنة ١٧٨٩ ثمَّ كتاب القداس الالهي ثمَّ الرسائل ثمَّ الشحيمة. وكلها بالحرف الاسود. ونُقلت المطبعة الى دير قزحيا نحو سنة ١٨١٥ (والصواب عندنا انَّها نُقلت قبل ذلك راجع ص ٢٥٦ و ٢٥٧) فبني لها شرقي الدير محل منفصل عنهُ قليلًا وهو قبو عقد كافٍ لادارتها ولوازمها وفوقهُ محل للمطبوعات وتجليدها. وكان دولاب المطبعة خشبيًا فأُبدل بدولاب من الحديد. ثمَّ تغيَّرت تلك المطبعة بالمطبعة الحالية التي اشتراها المرحوم الاب دانيال الحدثي في ايَّام رئاسته على الدير سنة ١٨٧١ من المرحوم رومانوس يمين الاهدني. اما لائحة الكتب فقد ذُكرت في المشرق. يُزاد عليها كتاب المزامير بالحرف الكرشوني. وقد دبَّر هذه المطبعة بعد الاب ساروفيم حوقا الابوان مرقس اهمج ومارون ايطو وهو مديرها الحالي »

وقد اخذ على مقالتنا عن مطبعة الشوير (ص٣٥٩) حضرة الاب الفاضل الخوري اونوسيموس صوايا رئيس دير مار يوحنا الصابغ: ١ً اننا اسأنا في تسمية دير مار يوحنا الصابغ بدير الطبشة. ٢ً انكر شهادة الاب مرتينوس (ص ٣٦٠) في انَّ الطقوس أُقيمت في هذا الدير بالسريانية لانَّهُ لا اثر في الدير لهذه الكتب الطقسيَّة بالسريانية. اما الكتب الطقسية العربية فيوجد منها ما تاريخها سنة ١٦٩٢ و ١٦٩٤ و ١٧١٠. ثمَّ انَّ تقليد الرهبنة لا يروي شيئًا من ذلك فضلًا عن انَّ الطائفة الملكية كلها كانت تقيم طقوسها من قديم الزمان باللغة اليونانية ثمَّ عرَّجت الى اللغة العربية في بعض امكنة حيث توجد اولاد العرب الغير المدركين اللغة اليونانية. وزد على ذلك ان الخوري الذي كان في هذا الدير حينما قدمهُ اول الرهبان الحنَّاويين كان يقيم الطقوس باللغة العربيَّة. ٣ً ليس بصحيح ان العلَّامة الفاضل عبدالله زاخرًا اهتدى الى الديانة الكاثوليكية كما زعمنا (ص ٣٦٠) بل كان جدُّهُ كاهنًا كاثوليكيًا وابوهُ زخرنا دافع عن الايمان الكاثوليكي ولم يُسمع عنهُ انهُ خرج عن الايمان المستقيم. ٤ً ليس بصحيح انَّ الاب بطرس فروماج ساعد عبدالله زاخرًا في انشاء مطبعتهِ كما يتضح ذلك من تاريخ الرهبنة الحنَّاوية ودفاتر حساباتها. وكان هو اتى بها عن حلب سنة ١٧٣٢. ٥ً انَّ فرائض الرهبنة تثبَّتت في ١١ حزيران سنة ١٧٥٧ لا سنة ١٧٤٧ كما ورد في المشرق. يُستَدلُّ على ذلك من كتاب فرائض الرهبنة نفسها (ص٣١).

(المشرق) انَّ ضيق المكان يضطرُّنا الى تأجيل جوابنا على هذه الملاحظات فنوردهُ في عدد قادم ان شاء الله

وقد اتتنا ايضاً بعض افادات عن اصل المطبعة الاميركيَّة للدكتور البارع هنري جسب. غير انَّ هذه الاعلامات مع فوائدها لا تزيد شيئاً مهماً على ما ذكرناهُ في مقالتنا (ص ٥٠٤). ومع ذلك اننا نشكر لجناب الدكتور جسب لطفهُ ونستميح منهُ عذرًا على عدم اثبات رسالتهِ

أسئلة وأجوبة

س سألنا من حمص جناب الاديب رزق الله نعمة الله عبُّود: ١ نرجوكم ان تفيدونا شيئاً عن ترجمة اوسابيوس المؤرخ الكاثني وعن مكان مولدهِ. ٢ من هو ابن ناعمة الحمصي الذي ذُكر في كتاب علم الادب (ص٣٤٣)

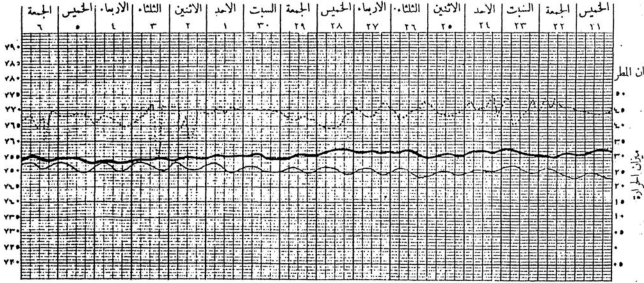
اوسابيوس المؤرخ وابن ناعمة الحمصي

ج اوسابيوس المؤرخ هو اسقف قيصاريَّة فلسطين ازهر في القرن الرابع للمسيح وخدم قسطنطين الكبير (راجع ترجمتهُ في شرح مجاني الادب (ص ١٤٧) ولم يذكر هناك مكان مولدهِ لانَّ الامر مجهول

امَّا ابن ناعمة فهو عبد المسيح بن عبد الله بن ناعمة الحمصي عاش في اوائل الدولة العباسيَّة واشتهر بنقل الكتب اليونانيَّة الى السريانيَّة والعربيَّة معاً. وممَّا عرَّبهُ بعض كتب ارسطاطاليس كالسوفسطيقا والطبيعيَّات. ولا يعلم تاريخ وفاتهِ ل. ش

اصلاح غلط = ص ٤١٦ س ٦ «يلقَمون» والصواب «يُلقَمون» — س ١٢ «يُبقي النين» والصواب «المين» = ص ٤٨٧ س ١٨ «اذا نضب» والصواب «اذ» = ص ٤٨٨ س ٢٥ «نيدغل» والصواب «نيرغل» = ص ٤٨٩ س ١ «المؤرخين» والصواب «انَّ المؤرخين = ص ٤٩٩ س ٨ «والطراق» والصواب «والطَّرَف او الاطراف» — س ٢٥ «على صفحة» والصواب «على صفحتَي» — س٢٦ «على الدفَّتان» والصواب «الدفَّتَين» = ص ٥٠٠ س ٩ «يطيف بالسرج» والصواب «بالصدر الذي يمنع السرج» — س ٢٠ «مسرجهُ» والصواب «مرجهُ» — س ٢٢ «للعير» والصواب «للبعير» = ص ٥٠١ س ٧ «السناف» والصواب «المنساف» = ص ٥٢٤ س ٢ «innere» والصواب «innern» — ١٩ «publiés» والصواب «publiées» = ص ٤٢٩ س ١٨ «السنوبر» والصواب «الصنوبر» = ص ٥٧٥ س ٢٢ «فيلب اندي جلّاد» والصواب «انطون افندي» = ص ٥٨٤ س ١٥ «جميلة الشان» والصواب «جليلة» = ص ٦٢٢ س ١٦ «عثرت.. فصلًا» والصواب «على فصلٍ»

قائمة للآثار الجوية من ٢١ حزيران الى ٦ تموز ١٩٠٠



انّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (---) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالمترات وعُشر المِلمترات